

جماعة أنصار السنة المحمدية
فرع بلييس - اللجنة العلمية

الخطب المهمة لدعاة الأمة

شهر جماد الآخرة (1435هـ)

إشراف ومراجعة

الشيخ / أحمد بن سليمان

د / صبري عبد المجيد

إعداد

هاني الشيخ

عبد الرحمن الفواخري

أحمد عبد السلام

سيد عبد العال

صالح حسون

النائحة المستأجرة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وبعد،

فإن الدعوة إلى الله تعالى هي أشرف عمل في الوجود ولم لا وهي وظيفة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ولكن لن تؤتي الدعوة ثمارها إلا لمن أخلص لها وعمل بما يدعو إليه وتأثر قلبه ولبه بجراح الأمة وآلامها فلم ينطق بكلمة إلا وهو يستشعر وقعها عند السامعين وكأنه ينطق بما يختلج صدورهم وتكنه ضائرتهم فيتنفسون الصعداء حين يُضغى إلى وعظه

قَالَ عُمَرُ بْنُ ذَرٍّ لِأَيُّبِهِ: يَا أَبَـة! مَا لَكَ إِذَا تَكَلَّمْتَ أَكَبَيْتَ النَّاسَ، وَإِذَا تَكَلَّمْتَ غَيَّرَكَ لَمْ يُبَيِّحْهُمْ؟ فَقَالَ: يَا بَنِي! لَيْسَتْ النَّائِحَةُ الشَّكْلَى مِثْلَ النَّائِحَةِ الْمُسْتَأْجَرَةِ. المجالسة للدينوري (736)

النائحة المستأجرة تصيح بدون صدق، تصيح من أجل الجمالة، لكن الشكلى تصيح من أجل ولدها، لذا تصيح من قلبها، فكأنه يقول: إن الكلمة عندما تخرج من القلب تقع في القلب، والعكس بالعكس فمهما بلغ الداعية من البلاغة والفصاحة ولم يخلص في دعوته فلن تجد لها صدى بين العباد الداعية ليس كاللبغاء يردد ما يقال له بغير فهم أو تأثر أو إرادة واستشعار للمحتوى الذي يقدمه للسامعين بل يقف مع الكلمات ويتدبر الآيات ويستشعر المواقف التربوية في السنة النبوية فهو يملك زاداً وفيراً وثروة غناء وحديقة من الوعظ كالجنان ولا ينقصه إلا بذل الجهد في تحقيق الإيمان والصدق في بذل الكلام والعمل بما في السنة والقرآن

وهذا المعنى الذي ذكره عمر بن ذر قَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ: "إِنَّ الْعَالِمَ إِذَا لَمْ يَعْمَلْ زَلَّتْ مَوْعِظَتُهُ عَنِ الْقُلُوبِ كَمَا يَزِلُّ الْقَطْرُ عَنِ الصَّفَا: وَكَانَ سَوَاءٌ يَقُولُ: كَلَامُ الْقَلْبِ يَفْرَعُ الْقَلْبَ، وَكَلَامُ اللِّسَانِ يَمُرُّ عَلَى الْقَلْبِ صَفْحًا. وَقَالَ زِيَادُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ: إِذَا خَرَجَ الْكَلَامُ مِنَ الْقَلْبِ وَقَعَ فِي الْقَلْبِ، وَإِذَا خَرَجَ مِنَ اللِّسَانِ لَمْ يُجَاوِزِ الْأَذَانَ.

وَعَنْ سَلْمَانَ قَالَ: يُوشِكُ أَنْ يَظْهَرَ الْعِلْمُ، وَيُخْزَنَ الْعَمَلُ، يَتَوَاصَلَ النَّاسُ بِاللِّسَانِ وَيَتَقَاطَعُونَ بِقُلُوبِهِمْ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ. وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ آدَمَ: مَا يُبْغِي عَنْكَ مَا جَمَعْتَ مِنْ حِكْمَةِ الْحُكَمَاءِ وَأَنْتَ تَجْرِي فِي الْعَمَلِ مَجْرَى الشُّفْهَاءِ. وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ إِدْرِيسَ:

وَالْعِلْمُ لَيْسَ بِنَافِعٍ أَرْبَابَهُ... مَا لَمْ يُفِدْ عَمَلًا وَحُسْنَ تَبَصُّرٍ
سَيِّئًا عِنْدِي عِلْمٌ مَنْ لَمْ يَسْتَفِدْ... عَمَلًا بِهِ وَصَلَاةٌ مَنْ لَمْ يَظْهَرْ
فَاعْمَلْ بِعِلْمِكَ ثَوَقَ نَفْسِكَ وَزَهَبًا... لَا تَرْضَ بِالتَّضْيِيعِ وَزْنَ الْمُخْسِرِ

وَقَالَ أَيُّوبُ السِّخْتِيَانِيُّ، قَالَ لِي أَبُو قَلَابَةَ: يَا أَيُّوبُ، إِذَا أَحْدَثَ اللَّهُ لَكَ عِلْمًا فَأَحْدِثْ لَهُ عِبَادَةً وَلَا يَكُنْ هَمَّكَ أَنْ تُحَدِّثَ بِهِ.

وَعَنْ مَالِكِ بْنِ مَعُوذٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى {فَتَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ} [آل عمران: 187]، قَالَ: "تَرْكُوا الْعَمَلَ بِهِ". انظر جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر.

ولهذا تآثر الصحابة بنبيهم × إذ كان معهم يشاركونهم همومهم ويحنوا على ضعيفهم ويواسي فقيرهم فلم يأمرهم بأمر إلا وقد سبقهم إليه ولا نهاهم عن شيء إلا كان أول المنتهين عنه فلم يشبع وهم جوعى ولم يفرح وأصحابه صرعى

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ، قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ: هَلْ كَانَ النَّبِيُّ × يُصَلِّي وَهُوَ قَاعِدٌ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، بَعْدَ مَا حَطَّمَهُ النَّاسُ. صحيح مسلم (732)

قال النووي: كَانَهُ لَمَّا حَمَلَهُ مِنْ أُمُورِهِمْ وَأَثْقَالِهِمْ وَالْإِعْتِنَاءِ بِمَصَالِحِهِمْ صَبْرُهُ شَيْخًا مَحْطُومًا فكان يعيش هموم أمته وهم موقنون أن إمامهم وقودتهم لن يستأثر بالدنيا عليهم بل كان أكثرهم جوعاً وإيثاراً

قال: أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: ÷: حِثُّ رَسُولِ اللَّهِ × يَوْمًا فَوَجَدْتُهُ جَالِسًا مَعَ أَصْحَابِهِ يُحَدِّثُهُمْ، وَقَدْ عَصَبَ بَطْنُهُ بِعَصَابَةٍ، قَالَ أَسَامَةُ: وَأَنَا أَشْكُ عَلَى حَجَرٍ، فَقُلْتُ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ لِمَ عَصَبَ رَسُولُ اللَّهِ × بَطْنُهُ؟ فَقَالُوا: مِنَ الْجُوعِ، فَذَهَبْتُ إِلَى أَبِي طَلْحَةَ وَهُوَ زَوْجُ أُمِّ سَلَمَةَ بِنْتِ مِلْحَانَ، فَقُلْتُ: يَا أَبَتَاهُ، قَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ × عَصَبَ بَطْنَهُ بِعَصَابَةٍ، فَسَأَلْتُ بَعْضَ أَصْحَابِهِ، فَقَالُوا: مِنَ الْجُوعِ. صحيح مسلم (2040)

وهذا موقف من عشرات المواقف التربوية في تعليم أتباعه بأسلوب القدوة
عن أَبِي هُرَيْرَةَ ÷، قَالَ: إِنْ كُنْتُ لَأَعْتِمِدَ بِكَبِدِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْجُوعِ، وَإِنْ كُنْتُ لَأَشُدُّ الْحَجَرَ عَلَى بَطْنِي مِنَ الْجُوعِ، وَلَقَدْ قَعَدْتُ يَوْمًا عَلَى طَرِيقِهِمُ الَّذِي يَخْرُجُونَ مِنْهُ، فَمَرَّ أَبُو بَكْرٍ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيُشَبِّعَنِي، فَمَرَّ وَلَمْ يَفْعَلْ، ثُمَّ مَرَّ بِي عُمَرُ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيُشَبِّعَنِي، فَمَرَّ فَلَمْ يَفْعَلْ، ثُمَّ مَرَّ بِي أَبُو الْقَاسِمِ ×، فَتَبَسَّمَ حِينَ رَأَانِي، وَعَرَفَ مَا فِي نَفْسِي وَمَا فِي وَجْهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا هُرَيْرٍ. قُلْتُ: لَبَيْتُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "الْحَقُّ" وَمَضَى فَتَبِعْتُهُ، فَدَخَلَ فَاسْتَأْذَنَ، فَأَذِنَ لِي، فَدَخَلَ، فَوَجَدَ لَبَنًا فِي قَدَحٍ، فَقَالَ: "مِنْ أَيْنَ هَذَا اللَّبَنُ؟" قَالُوا: أَهْدَاهُ لَكَ فَلَانٌّ أَوْ فُلَانَةٌ، قَالَ: "أَبَا هُرَيْرٍ" قُلْتُ: لَبَيْتُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "الْحَقُّ إِلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ فَادْعُهُمْ لِي" قَالَ: وَأَهْلُ الصُّفَّةِ أَصْيَافُ الْإِسْلَامِ، لَا يَأْوُونَ إِلَى أَهْلِ وَلَا مَالٍ وَلَا عَلَى أَحَدٍ، إِذَا أَتَتْهُ صَدَقَةٌ بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِمْ وَلَمْ يَتَنَاوَلْ مِنْهَا شَيْئًا، وَإِذَا أَتَتْهُ هَدِيَّةٌ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ وَأَصَابَ مِنْهَا وَأَشْرَكَهُمْ فِيهَا، فَسَأَلَنِي ذَلِكَ، فَقُلْتُ: وَمَا هَذَا اللَّبَنُ فِي أَهْلِ الصُّفَّةِ، كُنْتُ أَحَقُّ أَنَا أَنْ أُصِيبَ مِنْ هَذَا اللَّبَنِ شَرْبَةً أُنْقَوِيَ بِهَا، فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنِي، فَكُنْتُ أَنَا أُعْطِيهِمْ، وَمَا عَسَى أَنْ يُلْغِيَنِي مِنْ هَذَا اللَّبَنِ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ × بُدٌّ، فَأَتَيْنَهُمْ

فَدَعَوْتُهُمْ فَأَقْبَلُوا، فَاسْتَأْذَنُوا فَأَذِنَ لَهُمْ، وَأَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ مِنَ الْبَيْتِ، قَالَ: "يَا أَبَا هُرَيْرٍ" قُلْتُ: لَبَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "خُذْ فَأَعْطِهِمْ" قَالَ: فَأَخَذْتُ الْقَدَحَ، فَجَعَلْتُ أُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرِبُ حَتَّى يَرَوْى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَى الْقَدَحِ، فَأَعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرِبُ حَتَّى يَرَوْى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَى الْقَدَحِ، حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ رَوَى الْقَوْمُ كُلُّهُمْ، فَأَخَذْتُ الْقَدَحَ فَوَضَعُهُ عَلَى يَدِهِ، فَتَنْظُرُ إِلَيَّ فَتَبَسَّسَ، فَقَالَ: "أَبَا هُرَيْرٍ" قُلْتُ: لَبَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: بَقِيْتُ أَنَا وَأَنْتَ" قُلْتُ: صَدَقْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "افْعُدْ فَاشْرَبْ" فَفَعَعْتُ فَشَرِبْتُ، فَقَالَ: "اشْرَبْ" فَشَرِبْتُ، فَمَا زَالَ يَقُولُ: "اشْرَبْ" حَتَّى قُلْتُ: لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا أَجِدُ لَهُ مَسْلَكًا، قَالَ: "فَارِنِي" فَأَعْطَيْتُهُ الْقَدَحَ، فَحَمِدَ اللَّهُ وَسَمَّى وَشَرِبَ الْفَضْلَةَ. صحيح البخاري (6452)

فاللهم ارزقنا عملاً بما نقول وأصلح أمتنا ودعاتنا واجعلهم هداة مهتدين والحمد لله رب العالمين

كتبه

أحمد بن

سليمان

1- الغيبة

عناصر الخطبة:

تعريف الغيبة سياق الأدلة من القرآن والسنة في التحذير من الغيبة ما ينبغي لمن سمع غيبة أخيه المسلم ذكر بعض أسباب الغيبة علاج الغيبة التفصيل

تعريف الغيبة: الغيبة -بالكسر على الأشهر- أن تذكر الإنسان في غيبته بسوء وإن كان فيه فإذا ذكركه بما ليس فيه فهو النهي والبُهتان⁽¹⁾.

وقال النووي: فهي ذكرك الإنسان بما فيه مما يكره، سواء كان في بدنه، أو دينه أو دنياه أو نفسه، أو خلقه، أو خلقه، أو ماله، أو ولده، أو والده، أو زوجه، أو خادمه، أو مملوكه، أو علمته، أو ثوبه، أو مشيته، وحركته وبشاشته وخلاعته، وعبوسه، وطلاقة، أو غير ذلك مما يتعلق به، سواء ذكرته بلفظك أو كتابك، أو رمزت، أو أشرت إليه بعينك، أو يدك، أو رأسك أو نحو ذلك. وأما البدن، فكقولك: أعمى، أعرج. إلخ. وأما الدين، فكقولك: فاسق، سارق خائن، ظالم، متهاون بالصلاة، متساهل في النجاسات، ليس باراً بوالده، لا يضع الزكاة مواضعها، لا يجتنب الغيبة.

وأما الدنيا: فقليل الأدب، يتهاون بالناس، لا يرى لأحد عليه حقاً، كثير الكلام، كثير الأكل أو النوم، ينأى في غير وقته، يجلس في غير موضعه. وأما المتعلق بوالده، فكقوله: أبوه فاسق، أو هندي، أو نبطي، أو زنجي، إسكاف، بزاز، نحاس، نجار، حداد، حائك.

وأما الخلق، فكقوله: سيئ الخلق، متكبر، مُراء، عجول، جبار، عاجز، ضعيف القلب، مُتهور، عبوس، خلع، ونحوه. وأما الثوب: فواسع الكم، طويل الذيل، وسخ الثوب ونحو ذلك، ويُقاس الباقي بما ذكرناه.

وضابطه: ذكرك الإنسان بما يكره، سواء ذكرته بلفظك أو في كتابك، أو رمزت أو أشرت إليه بعينك، أو يدك أو رأسك. كل ما أفهمت به غيرك نقصان مسلم فهو غيبة محرمة، ومن ذلك المحاكاة، بأن يمشي متعارجاً أو مُطأطئاً أو على غير ذلك من الهيئات، مريداً حكاية هيئة من يتنقّصه بذلك، فكل ذلك حرام بلا خلاف، ومن ذلك إذا ذكر مُصنّف كتاب شخصاً بعينه في كتابه قائلاً: قال فلان كذا مريداً تنقيصه والشناعة عليه فهو حرام، فإن أراد بيان غلظه لئلا يُقلّد، أو بيان ضعفه في العلم لئلا يُعتر به ويُقبل قوله، فهذا ليس غيبة، بل نصيحة واجبة يُثاب عليها إذا أراد ذلك، وكذا إذا قال المصنف أو غيره: قال قوم أو جماعة كذا، أو وهذا غلط أو خطأ أو جهالة وغفلة ونحو ذلك فليس غيبة، إنما الغيبة ذكر الإنسان بعينه أو جماعة معينين.

(1) النهاية في غريب الحديث والأثر (3/ 399).

ومن الغيبة المحرمة قولك: فعل كذا بعض الناس، أو بعض الفقهاء، أو بعض من يدعي العلم، أو بعض المفتين، أو بعض من ينسب إلى الصلاح أو يدعي الزهد، أو بعض من مر بنا اليوم، أو بعض من رأيناه، أو نحو ذلك إذا كان المخاطب يفهمه بعينه لحصول التفهيم.

وأما النيمة: فهي نقل كلام الناس بعضهم إلى بعض على جهة الإفساد.⁽¹⁾

الفرق بين الغيبة والنيمة

قال ابن حجر: واختلف في الغيبة والنيمة هل هما متغايرتان أو متحدتان والتراجع للتغاير وأن بينهما عمومًا وخصوصًا وجهيًا وذلك لأن النيمة نقل حال الشخص لغيره على جهة الإفساد بغير رضاه سواء كان يعلمه أم بغير علمه، والغيبة ذكره في غيبته بما لا يرضيه فامتازت النيمة بقصد الإفساد ولا يشترط ذلك في الغيبة وامتازت الغيبة بكونها في غيبة المقول فيه واشتركتا فيما عدا ذلك ومن العلماء من يشترط في الغيبة أن يكون المقول فيه غائبًا والله أعلم.⁽²⁾

وأما حكمها، فهي محرمتان بإجماع المسلمين، وقد تظاهر على تحريمها الدلائل الصريحة من الكتاب والسنة وإجماع الأمة.⁽³⁾

وقال ابن حجر: نقل أبو عبد الله القرطبي في تفسيره الإجماع على أنها من الكبائر لأن حد الكبيرة صادق عليها لأنها مما ثبت الوعيد الشديد فيه وقال الأذري لم أر من صرح بأنها من الصغائر إلا صاحب العدة والغزالي وصرح بعضهم بأنها من الكبائر وإذا لم يثبت الإجماع فلا أقل من التفصيل فمن اعتاب وليًا لله أو عالمًا ليس كمن اعتاب مجهول الحالة مثلاً وقد قالوا ضابطها ذكر الشخص بما يكره وهذا يختلف باختلاف ما يقال فيه وقد يشتد تأذيه بذلك وأذى المسلم حرام⁽⁴⁾

سياق الأدلة من القرآن والسنة في التحذير من الغيبة:

1- قال سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ} قال السعدي: {وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا} والغيبة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ذكر أخاك بما يكره ولو كان فيه" ثم ذكر مثلاً منفراً عن الغيبة، فقال: {أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ} شبه أكل لحمه ميتاً، المكروه للنفوس غاية الكراهة، باعتيابه، فكما أنكم تكرهون أكل لحمه، وخصوصاً إذا كان ميتاً، فاقد الروح، فكذلك، فلتكرهوا غيبته، وأكل لحمه حيّاً.⁽⁵⁾

(1) الأذكار للنووي (336-339).

(2) فتح الباري لابن حجر (10/ 473).

(3) الأذكار للنووي (336-339).

(4) فتح الباري لابن حجر (10/ 470).

(5) تيسير الكريم الرحمن (ص: 802).

2- وقال سبحانه: **وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ**.

قال الرازي: الوَيْلُ لَفْظَةُ الدَّهْمِ وَالسُّخْطِ، وَهِيَ كَلِمَةٌ كُلُّ مَكْرُوبٍ يَتَوَلَّوْنَ فَيَدْعُو بِالْوَيْلِ وَأَصْلُهُ وَيَ لِفُلَانٍ ثُمَّ كَثُرَتْ فِي كَلَامِهِمْ فَوُصِلَتْ بِاللَّامِ، وَنُكِرَ ههنا لِأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ كُنْهَهُ إِلَّا اللَّهُ... فَنَبَتْهُ بِهَذَا عَلَى فُتُوحِ هَذَا الْفِعْلِ، وَاخْتَلَفُوا فِي الْوَعِيدِ الَّذِي فِي هَذِهِ السُّورَةِ هَلْ يَتَنَاوَلُ كُلُّ مَنْ يَتَمَسَّكُ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ فِي الْأَفْعَالِ الرَّدِيئَةِ أَوْ هُوَ مَخْصُوصٌ بِأَقْوَامٍ مُّعَيَّنِينَ، وَالْمُحَقِّقُونَ قَالُوا: إِنَّهُ عَامٌّ لِّكُلِّ مَنْ يَفْعَلُ هَذَا الْفِعْلَ كَثِيراً مَنْ كَانَ وَذَلِكَ لِأَنَّ خُصُوصَ السَّبَبِ لَا يَقْدَحُ فِي عُمُومِ اللَّفْظِ.

وَالْهُمَزُ الْكُسْرُ قَالَ تَعَالَى: هَمَزٍ مَشَاءٍ. وَاللُّمَزُ الطَّعْنُ وَالْمُرَادُ الْكُسْرُ مِنْ أَعْرَاضِ النَّاسِ وَالْعَصْ مِنْهُمْ وَالطَّعْنُ فِيهِمْ... وَلِلْمُفَسِّرِينَ أَلْفَاظًا، أَحَدُهَا: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْهُمَزَةُ الْمُعْتَابُ، وَالْمُرَّةُ الْعِيَابُ وَثَانِيهَا: قَالَ أَبُو زَيْدٍ: الْهُمَزَةُ بِالْيَدِ وَاللُّمَزَةُ: بِاللِّسَانِ وَثَالِثُهَا: قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: الْهُمَزَةُ بِالْمُؤَاجَمَةِ وَاللُّمَزَةُ بِظَهْرِ الْعَيْبِ وَرَابِعُهَا: الْهُمَزَةُ جَهْرًا وَاللُّمَزَةُ سِرًّا بِالْحَاجِبِ وَالْعَيْنِ وَخَامِسُهَا: الْهُمَزَةُ وَاللُّمَزَةُ الَّذِي يُلْقَبُ النَّاسُ بِمَا يَكْرَهُونَ... وَيَدْخُلُ فِيهِ مَنْ يُحَاكِي النَّاسَ بِأَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ وَأَصْوَاتِهِمْ لِيَضْحَكُوا، وَسَادِسُهَا: قَالَ الْحَسَنُ: الْهُمَزَةُ الَّذِي يَهْجُرُ جَلِيسَهُ يَكْسِرُ عَلَيْهِ عَيْنَهُ وَاللُّمَزَةُ الَّذِي يَذْكُرُ أَخَاهُ بِالسُّوءِ وَيَعِيبُهُ وَسَابِعُهَا: عَنْ أَبِي الْجَوَّارِ قَالَ: قُلْتُ لَا بَنَ عَبَّاسٍ: وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ مَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَذْمُهُمُ اللَّهُ بِالْوَيْلِ فَقَالَ: هُمُ الْمَشَاوُونَ بِالتَّيْمَةِ الْمُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْأَحَبَّةِ النَّاعِمُونَ لِلنَّاسِ بِالْعَيْبِ. وَاعْلَمْ أَنَّ جَمِيعَ هَذِهِ الْوُجُوهِ مُتَقَارِبَةٌ رَاجِعَةٌ إِلَى أَصْلٍ وَاحِدٍ وَهُوَ الطَّعْنُ وَظَاهَرُ الْعَيْبِ.

ثُمَّ هَذَا عَلَى قِسْمَيْنِ فَإِنَّهُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ بِالْجِدِّ كَمَا يَكُونُ عِنْدَ الْحَسَدِ وَالْحَقْدِ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ بِالْهَلْ كَمَا يَكُونُ عِنْدَ السُّخْرِيَةِ وَالْإِضْحَاقِ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْقِسْمَيْنِ، إِمَّا أَنْ يَكُونَ فِي أَمْرٍ يَتَعَلَّقُ بِالذِّينِ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ مَتَعَلِّقًا بِالْدُنْيَا وَهُوَ مَا يَتَعَلَّقُ بِالصُّورَةِ أَوْ الْمَشْيِ، أَوْ الْجُلُوسِ وَأَنْوَاعُهُ كَثِيرَةٌ وَهِيَ غَيْرُ مَصْبُوطَةٍ، ثُمَّ إِظْهَارُ الْعَيْبِ فِي هَذِهِ الْأَقْسَامِ الْأَرْبَعَةِ قَدْ يَكُونُ لِحَاضِرٍ، وَقَدْ يَكُونُ لِعَائِبٍ، وَعَلَى التَّقْدِيرَيْنِ فَقَدْ يَكُونُ بِاللَّفْظِ، وَقَدْ يَكُونُ بِإِشَارَةِ الرَّأْسِ وَالْعَيْنِ وَغَيْرِهِمَا، وَكُلُّ ذَلِكَ دَاخِلٌ تَحْتَ النَّهْيِ وَالرَّجْرِ... وَلَمَّا كَانَ الرَّسُولُ أَغْظَمَ النَّاسِ مَنْصِبًا فِي الدِّينِ كَانَ الطَّعْنُ فِيهِ عَظِيماً عِنْدَ اللَّهِ، فَلَا جَرَمَ قَالَ: وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ. (1)

3- عن عائشة ' قالت: قلت للنبي x: حسبك من صفة كذا وكذا - تعني قصيرة

- فقال: ((لقد قُلْتُ كلمة لو مُزجت بماء البحر لمزجته))، قالت: وحكيت له إنساناً، فقال: ((ما أحب أني حكيت إنساناً، وأن لي كذا وكذا)). (2) أي: خالطته مخالطة يتغير بها طعمه وريحه لشدة نيتها وقبحها. (3) فهذه الغيبة لو كانت مما يَمْزَجُ بِالْبَحْرِ لَعَيَّرْتُهُ عَنْ حَالِهِ مَعَ كَثْرَتِهِ وَعِزَّارَتِهِ فَكَيْفَ بِأَعْمَالٍ نَزَرَتْ خَلَطَتْ بِهَا (1)

(1) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (283 / 32)

(2) سنن أبي داود (4875) وصححه الألباني.

(3) المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية (1 / 380)

وقوله: (مَا أَحْبَبَ إِلَيَّ حَكِيثُ إِنْسَانًا) أَيُّ مَا يَسْرُنِي أَنْ أَتَحَدَّثَ بِعَيْنِيهِ أَوْ مَا يَسْرُنِي أَنْ أَحْكِيهِ بِأَنْ أَفْعَلَ مِثْلَ فِعْلِهِ أَوْ أَقُولَ مِثْلَ قَوْلِهِ عَلَى وَجْهِ التَّنْقِيصِ (وَأَنْ لِي كَذَا وَكَذَا) أَيُّ وَلَوْ أُعْطِيتُ كَذَا وَكَذَا مِنْ الدُّنْيَا أَيُّ شَيْئًا كَثِيرًا عَلَى ذَلِكَ⁽²⁾

4- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ÷ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " لَمَّا عَرَجَ بِي رَبِّي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَطْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ، يَحْمُسُونَ وَجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ. فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ⁽³⁾ .

أي: أن الجزء من جنس العمل، فلما كان بغيبته وبكلامه على الناس مثل الذي يأكل لحومهم، صارت عقوبته بأن يمزق جلده ولحمه بنفسه بتلك الأظفار، كما أكل لحوم الناس بولوغه في أعراضهم، فإنه هو نفسه بتلك الأظفار من النحاس يمزق لحمه ويقطع جلده بفعله، والجزء من جنس العمل، فكما أكل لحوم الناس فإنه يأكل لحمه بتلك الأظفار.⁽⁴⁾

5- وعن أبي هريرة ÷ قال: قال رسول الله ﷺ: ((الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِزُّهُ))⁽⁵⁾ .

6- وعن أبي برزة الأسلمي ÷ قال: قال رسول الله ﷺ: ((يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ لَا تَعْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ فَإِنَّهُ مَنْ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ وَمَنْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ))⁽⁶⁾ .

والحديث فيه تنبيه على أن غيبة المسلم من شعار المنافق لا المؤمن، وفيه الوعيد بكشف الله عيوب الذين يتبعون عورات المسلمين، ومجازاتهم بسوء صنيعهم، وكشف مساوئهم ولو كانوا في بيوتهم مخفيين من الناس، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقال ابن رجب: وَقَدْ زُوِيَ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ أَنَّهُ قَالَ: أَدْرَكْتُ قَوْمًا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ عُيُوبٌ، فَذَكَرُوا عُيُوبَ النَّاسِ، فَذَكَرَ النَّاسُ لَهُمْ عُيُوبًا، وَأَدْرَكْتُ أَقْوَامًا كَانَتْ لَهُمْ عُيُوبٌ، فَكَفُّوا عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ، فَلَنَسِيْتُ عُيُوبَهُمْ أَوْ كَمَا قَالَ... .

ثم قال واعلم أن الناس على ضربين؛

(1) تحفة الأحوذى (7/ 177)

(2) عون المعبود وحاشية ابن القيم (13/ 151)

(3) أخرجه أحمد (13340)، أبو داود (4880)، وصححه الألباني في الصحيحة (533).

(4) شرح سنن أبي داود للعباد (555/12)، بترقيم الشاملة (آيا)

(5) صحيح مسلم (2564)

(6) سنن أبي داود (4880) وقال الألباني: حسن صحيح.

الأول: مَنْ كَانَ مَسْتَوْرًا لَا يَعْرِفُ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَعَاصِي، فَإِذَا وَقَعَتْ مِنْهُ هَفْوَةٌ، أَوْ زَلَّةٌ، فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ كَشْفُهَا، وَلَا هَنْكُهَا، وَلَا التَّحَدُّثُ بِهَا، لِأَنَّ ذَلِكَ غَيْبَةٌ مُحَرَّمَةٌ، وَهَذَا هُوَ الَّذِي وَرَدَتْ فِيهِ النُّصُوصُ، وَفِي ذَلِكَ قَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ يُجَاهِدُونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ} [النور: 19] [التور: 19]. وَالْمُرَادُ: إِشَاعَةُ الْفَاحِشَةِ عَلَى الْمُؤْمِنِ الْمُسْتَتِرِ فِيمَا وَقَعَ مِنْهُ، أَوْ اتِّهَمَ بِهِ وَهُوَ بَرِيءٌ مِنْهُ، كَمَا فِي قِصَّةِ الْإِفْكِ. قَالَ بَعْضُ الْوُزَرَاءِ الصَّالِحِينَ لِبَعْضِ مَنْ يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ: اجْتَهِدْ أَنْ تَسْتُرَ الْغُصَّةَ، فَإِنَّ ظُهُورَ مَعَاصِيهِمْ عَيْبٌ فِي أَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَأَوَّلَى الْأُمُورِ سِتْرُ الْغُيُوبِ.

والثاني: مَنْ كَانَ مُسْتَهْرًا بِالْمَعَاصِي، مُعْلِنًا بِهَا لَا يُبَالِي بِمَا ارْتَكَبَ مِنْهَا، وَلَا بِمَا قِيلَ لَهُ فَهَذَا هُوَ الْفَاجِرُ الْمُعْلِنُ، وَلَيْسَ لَهُ غَيْبَةٌ، كَمَا نَصَّ عَلَى ذَلِكَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ وَغَيْرُهُ، وَمِثْلُ هَذَا لَا بَأْسَ بِالْبَحْثِ عَنْ أَمْرِهِ لِتَقَامَ عَلَيْهِ الْحُدُودُ. صَرَّحَ بِذَلِكَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا، وَاسْتَدَلَّ بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: "وَاعْدُ يَا أَيُّسَ عَلَى امْرَأَةٍ هَذَا، فَإِنْ اعْتَرَفَتْ، فَارْجُمُهَا". وَمِثْلُ هَذَا لَا يَشْفَعُ لَهُ إِذَا أُخِذَ، وَلَوْ لَمْ يَبْلُغِ السُّلْطَانُ، بَلْ يُتْرَكُ حَتَّى يَقَامَ عَلَيْهِ الْحَدُّ لَيُنَكِّفَ شَرُّهُ، وَيَرْتَدِعَ بِهِ أَمَثَالُهُ. قَالَ مَالِكٌ: مَنْ لَمْ يَعْرِفْ مِنْهُ أَدَى لِلنَّاسِ، وَإِنَّمَا كَانَتْ مِنْهُ زَلَّةٌ، فَلَا بَأْسَ أَنْ يَشْفَعَ لَهُ مَا لَمْ يَبْلُغِ الْإِمَامَ، وَأَمَّا مَنْ عُرِفَ بِشَيْءٍ أَوْ فَسَادٍ، فَلَا أَحَبَّ أَنْ يَشْفَعَ لَهُ أَحَدٌ، وَلَكِنْ يُتْرَكُ حَتَّى يَقَامَ عَلَيْهِ الْحَدُّ، حَكَاهُ ابْنُ الْمُنْذِرِ وَغَيْرُهُ. (1)

7- وعن المستورد بن شداد ÷ أن النبي ﷺ قال: ((مَنْ أَكَلَ بِرَجُلٍ مُسْلِمٍ أَكَلَهُ فَإِنَّ اللَّهَ يُطْعِمُهُ مِثْلَهَا مِنْ جَهَنَّمَ وَمَنْ كَسَى ثَوْبًا بِرَجُلٍ مُسْلِمٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَكْسُوهُ مِثْلَهُ مِنْ جَهَنَّمَ وَمَنْ قَامَ بِرَجُلٍ مَقَامَ شُعْطَةٍ وَرِيَاءٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَشُومُ بِهِ مَقَامَ شُعْطَةٍ وَرِيَاءٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)) (2).

8- عَنْ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ ÷ قَالَ كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ كَأَنَّ عَلَى رُؤُوسِنَا الرَّحْمَ مَا يَتَكَلَّمُ مِمَّا تُتَكَلَّمُ إِذَا جَاءَهُ نَاسٌ مِنَ الْأَعْرَابِ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفْتِنَا فِي كَذَا أَفْتِنَا فِي كَذَا فَقَالَ "أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ وَضَعَ عَنْكُمْ الْحَرَجَ إِلَّا أَمْرًا اقْتَرَضَ مِنْ عِزِّ أَخِيهِ فَذَلِكَ الَّذِي حَرَجَ وَهَلَكَ" (3).

ومعناه إلا من اغتاب أخاه أو سبه أو آذاه في نفسه عبر عنه بالاقتراض لأنه يسترد منه في العقبي. (4)

9- عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ ÷، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "مِنْ أَرْبَى الرِّبَا اسْتِطَالَةٌ فِي عِزِّ الْمُسْلِمِ بغيرِ حَقٍّ" (5).

ما ينبغي لمن سمع غيبة أخيه المسلم

(1) جامع العلوم والحكم ت الأرنبوط (2/ 291).

(2) سنن أبي داود (4881)، وصححه الألباني.

(3) صحيح ابن حبان (486) وصححه الألباني رحمه الله.

(4) حاشية السندي على سنن ابن ماجه (2/ 339).

(5) سنن أبي داود (4876)، وقال الألباني: صحيح.

قال النووي: ((اعلم أنه ينبغي لمن سمع غيبة مسلم أن يردّها ويزجر قائلها، فإن لم ينزجر بالكلام زجره بيده، فإن لم يستطع باليد ولا باللسان، فارق ذلك المجلس، فإن سمع غيبة شيخه أو غيره ممن له عليه حق، أو كان من أهل الفضل والصّلاح، كان الاعتناء بما ذكرناه أكثر.))⁽¹⁾.

وعن عتبان ÷ أن قائلًا قال: أيّ مالِك بن الدّخيشن أو ابن الدّخشن؟ فقال بعضهم: ذلك مُنافِق لا يُحِبُّ الله ورسوله، فقال رسولُ الله ﷺ: " لا تُقُلْ ذلك، ألا تراه قد قال: لا إله إلا الله، يُريد بذلك وجهَ الله " قال: الله ورسوله أعلم، قال: فإنّا نرى وجهه ونصيحته إلى المنافقين، قال رسولُ الله ﷺ: " فإنّ الله قد حرّم على النّار من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجهَ الله ".⁽²⁾

وسكوت المستمع خذلان لأخيه في موطن احتاج فيه لنصرته وقد حذر النبي ﷺ من ذلك في حديث جابر بن عبد الله وأبي طلحة~ قالوا: قال رسول الله ﷺ: ((مَا مِنْ أَمْرٍ يُحْدِلُ أَمْرًا مُسْلِمًا فِي مَوْطِنٍ تُنْتَهَكُ فِي حُرْمَتِهِ وَيُنْتَقَضُ فِيهِ مِنْ عَرِضِهِ إِلَّا خَدَلَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نَصْرَتَهُ، وَمَا مِنْ أَمْرٍ يَنْصُرُ مُسْلِمًا فِي مَوْطِنٍ يُنْتَقَضُ فِيهِ مِنْ عَرِضِهِ وَتُنْتَهَكُ مِنْ حُرْمَتِهِ إِلَّا نَصَرَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نَصْرَتَهُ))⁽³⁾.

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ÷، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: ((مَنْ رَدَّ عَنْ عَرِضِ أَخِيهِ رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))⁽⁴⁾. وعن أسماء بنت يزيد عن النبي ﷺ: ((مَنْ ذَبَّ عَنْ لَحْمِ أَخِيهِ بِالْغَيْبَةِ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُعْتِقَهُ مِنَ النَّارِ))⁽⁵⁾.

ذكر بعض أسباب الغيبة إجمالاً حتى نتخلص منها بين يدي التوبة من الغيبة.

1- محاولة الانتصار للنفس. 2- الحقد للآخرين والبغض لهم. 3- إرادة رفعة النفس، وخفض غيره، كأن يقول: فلان جاهل، أو فهمه ضعيف، أو سقيم، أو عبارته ركيكة تدرجاً إلى لفت أظفار الناس إلى فضل نفسه، وإظهار شرفه بسلامته عن تلك النقائص التي ذكرها في من اعتابه، وهذا من الإعجاب بالنفس، نعوذ بالله من ذلك، وهو من المهلكات التي بيّنها رسول الله ﷺ.

4- موافقة الجلساء والأصحاب، والأصدقاء، ومجاملتهم فيما هم عليه من الباطل

5- إظهار التعجب من أصحاب المعاصي كأن يقول الإنسان: ما رأيت أعجب من فلان، كيف يخطئ وهو رجل عاقل أو كبير أو عالم أو غير ذلك، وكان من حقه عدم التعيين.

(1) الأذكار للنووي (343/1).

(2) البخاري (425)، وانظر: صحيح ابن خزيمة (1653).

(3) سنن أبي داود (4884)، ومسند أحمد (4884)، وقال أبو نعيم في الحلية (8/189): هَذَا حَدِيثٌ ثَابِتٌ مَشْهُورٌ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (5690).

(4) الترمذي (1931)، وقال: حديث حسن، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (6262).

(5) أخرجه أحمد 461/6 وصحيحه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (6240).

6- الظهور بمظهر الغضب لله على من يرتكب المنكر، فيظهر غضبه، ويذكر اسمه مثل أن يقول فلان لا يستحيي من الله يفعل كذا وكذا، ويقع في عرضه بالغيبة.

7- التصنع، واللعب، والهزل، والضحك فيجلس المغتاب فيذكر عيوب غيره مما يضحك به الناس فيضحك الناس، فعند ذلك يرتاح ويزيد من الكذب والغيبة على سبيل الهزل والنكت والإعجاب بالنفس. وهذا ينطبق عليه حديث النبي x الذي قال فيه: ((وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ بِالْحَدِيثِ فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ وَيَنْتَهِ لَهُ وَيَنْتَ لَهُ))⁽¹⁾.

علاج الغيبة:

العلاج الأول: هو أن يعلم الإنسان أنه إذا وقع في الغيبة فهو مُتَعَرِّضٌ لسخط الله تعالى ومقتته، كما دلت عليه الأحاديث السابقة وغيرها من الأحاديث الصحيحة، كقوله عليه الصلاة والسلام: "لِإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ، مَا يَتَيَسَّرُ فِيهَا، يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبَدًا مِمَّا يَبْنِي الْمَشْرُقُ"⁽²⁾ ويعلم أن حسناته يؤخذ منها يوم القيامة لمن اغتابه بدلاً عما استباح من عرضه، فإن لم تكن له حسنات نقل إليه من سيئات خصمه، فربما ترجح كفة سيئاته فيدخل النار، وقد يحصل ذلك للإنسان بإذها ب حسنات واحدة من حسناته، أو بوضع سيئة واحدة من سيئات خصمه، وعلى تقدير أن لا يحصل هذا الرجحان فكفى بتقص الحسنات عقاباً مع المحاسبة والمطالبة، والسؤال، والجواب، والحساب. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فإذا آمن الإنسان المسلم بالأخبار الواردة في الغيبة وتدبرها حق التدبر لم ينطق لسانه بغيبة، وتدبر نفسه، وعبوبها، وتقصيرها، وأن يتدبر في إصلاح نفسه عن عيوب الناس والكلام فيهم، وعلى من به عيب أن يستحيي من الله تعالى الذي لا تخفى عليه خافية حين يرى نفسه على العيوب ويذكر عيوب غيره، بل ينبغي له أن يلتبس لأخيه عذراً ومخرجاً، ويعلم أن عجزه عن تطهير نفسه من ذلك العيب كعجزه هو عن تطهير نفسه من عيوبها فإن كان الذم له بأمر خلق كان ذمًا للخلق؛ فإن ذم الصنعة يستلزم ذم صانعها، فليترك الله - عز وجل - ويصلح نفسه عن عيوبها، وكفى بذلك شغلًا!

العلاج الثاني: عليه أن ينظر في السبب الباعث له على الغيبة فإن علاج العلة إنما يتم بقطع سببها المستمدة هي منه.⁽³⁾

طريق التوبة من الغيبة:

وطريق التوبة بالنسبة لمن اغتاب المسلم هو: أن يتحمله ويطلب منه العفو إذا أمن الفتنة، أما إذا كان هذا يسبب الشحنة، أو يسبب منكرًا آخر، أو فتنة فإن المغتاب يذكره بالخير الذي فيه في المجالس التي ذكره فيها بسوء ويُرَدُّ عنه الغيبة بجهد وطاقته، فتكون تلك بتلك إن شاء الله مع مراعاة شروط التوبة وبالله التوفيق.



(1) الترمذي (2315) وقال حديث حسن، وانظر: آفات اللسان للدكتور سعيد بن وهف القحطاني.

(2) البخاري (6477).

(3) آفات اللسان للقحطاني.

2- التعاون

عناصر الخطبة:

تعريف التعاون	فضل التعاون ومنزلته	وجوه التعاون على البر والتقوى
أقسام وفوائد التعاون	مضار التعاون على الإثم والعدوان	صور من التعاون
مضادات التعاون	الأسباب المعينة على اكتساب التعاون	
	التفصيل	

تعريف التعاون: التعاون لغة: المساعدة⁽¹⁾.واصطلاحاً: التعاون هو: (المساعدة على الحق ابتغاء الأجر من الله سبحانه)⁽²⁾.

تمهيد: لقد جعل الله سبحانه وتعالى التعاون فطرة جبليّة، جبلها في جميع مخلوقاته صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وأنثاهم إنسهم وجنهم، فلا يمكن لأي مخلوق أن يواجه كل أعباء الحياة ومتاعبها وحده منفرداً، بل لابد أن يحتاج إلى من يعاونه ويساعده، لذلك فالتعاون ضرورة من ضروريات الحياة، التي لا يمكن الاستغناء عنها. والملاحظ أن نصوص الشريعة جاءت بالخطاب الجماعي فقولته تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} وردت 89 مرة، وقوله: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ} عشرين مرة، وقوله يَا بَنِي آدَمَ خمس مرات دلالة على أهمية الاجتماع والتعاون والتكامل. وقد حث النبي ﷺ على التعاون ودعا إليه فعن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ لَهُ، قَالَ: فَجَعَلَ يَصْرِفُ بَصَرَهُ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلٌ ظَهَرَ، فَلْيُعْذِ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهَرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ رَأْدٍ، فَلْيُعْذِ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ.

قَالَ: فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرَ حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ. (3) وشبه المؤمنين في اتحادهم وتعاونهم بالجسد الواحد فعن الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى. (4)

فضل التعاون ومنزلته:

1- التعاون سبب للنجاة من الخسران؛ قال تعالى: {وَالْعَصْرُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} [العصر: 1 - 3].

(1) ((المعجم الوسيط)) لإبراهيم مصطفى وآخرون (2/ 638). ، ((مختار الصحاح)) للرازي (ص222).

(2) ((موسوعة الأخلاق)) لخالد الخراز (ص441).

(3) صحيح مسلم ((1728)).

(4) صحيح مسلم (2586).

قال السعدي: (والتواصي بالحق، الذي هو الإيمان والعمل الصالح، أي: يوصي بعضهم بعضاً بذلك، ويحثه عليه، ويرغبه فيه). وقال ابن باز: (فهذه السورة العظيمة القصيرة اشتملت على معان عظيمة من جملتها التواصي بالحق وهو التعاون على البر والتقوى)⁽¹⁾.

2- استجابة لأمر الله تعالى: كما قال سبحانه: { وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } [المائدة: 2].

قال ابن كثير: يأمر تعالى عباده المؤمنين بالمعاونة على فعل الخيرات، وهو البر، وترك المنكرات وهو التقوى، وينهاهم عن التناصر على الباطل والتعاون على المآثم والمحارم)⁽²⁾.

وجوه التعاون على البر والتقوى:

قال ابن خويز منداد في أحكامه: والتعاون على البر والتقوى يكون بوجوه، فواجب على العالم أن يعين الناس بعلمه فيعلمهم، ويعينهم الغني بماله، والشجاع بشجاعته في سبيل الله، وأن يكون المسلمون متعاونين كاليد الواحدة⁽³⁾. ولقد كان النبي ﷺ أسرع الناس إلى هذا الخلق الشريف كما بينت أمنا خديجة ' تعاونه x وأنه كان مجبولاً على ذلك عندما كانت تخفف من روعه x عند عودته من غار حراء بعد نزول الوحي عليه، وكان فرحاً، فقالت له: (كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَقِصِلُ الرَّجِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَغْدُومَ، وَتَشْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ)⁽⁴⁾

وعن عائشة قالت: ((كان النبي ﷺ يكون في محبة أهله فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة))⁽⁵⁾، وعَنِ الْبَرَاءِ -: قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَنْقُلُ التُّرَابَ يَوْمَ الْحَنْدَقِ، حَتَّى أَغْمَرَ بَطْنُهُ، أَوْ اعْبَرَّ بَطْنُهُ، يَقُولُ: "وَاللَّهِ لَوْ لَا اللَّهُ مَا اهْتَدَيْتُمَا، وَلَا تَصَدَّقْتُمَا وَلَا صَلَّيْتُمَا، فَأَنْزَلُنِي سَكِينَتَهُ عَلَيْنَا، وَثَبَّتِ الْأَقْدَامَ إِنَّ لَأَقِينَا، إِنَّ الْأَلَى قَدْ بَعَا عَلَيْنَا، إِذَا أَرَادُوا فِتْنَتَهُ أَيْنَا" وَرَفَعَ بِهَا صَوْتَهُ: "أَيْنَا أَيْنَا"⁽⁶⁾

3- التعاون من أسباب الاجتماع ونبذ الفرقة قال الله عز وجل: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } [آل عمران: 103].

(1) تفسير السعدي سورة العصر، و((مجموع فتاوى ومقالات متنوعة)) لابن باز (5/ 87).

(2) تفسير ابن كثير سورة المائدة.

(3) ((الجامع لأحكام القرآن)) للقرطبي (6/ 46).

(4) صحيح البخاري (3).

(5) البخاري (676).

(6) البخاري (4104).

وقال السعدي: (فإن في اجتماع المسلمين على دينهم، وائتلاف قلوبهم يصلح دينهم وتصلح دنياهم وبالاتحاد يتكفون من كل أمر من الأمور، ويحصل لهم من المصالح التي تتوقف على الائتلاف ما لا يمكن عدها، من التعاون على البر والتقوى).

4- التعاون سبيل الوصول إلى المراد ومن ذلك ما يلي:

1- قال تعالى في قصة موسى عليه السلام: **وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي** [طه: 29 - 32]. قال مقاتل بن سليمان: (اشدد به أزري: يقول اشدد به ظهري وليكون عوناً لي وأشركه في أمري الذي أمرتني به، يتعظون لأمرنا وتتعاون كلانا جميعاً). وقال المراغي: (أي أحكم به قوتي، واجعله شريكاً في أمر الرسالة حتى نتعاون على

أدائها على الوجه الذي يؤدي إلى أحسن الغايات، ويوصل إلى الغرض على أجمل السبل)⁽¹⁾

2- أمر الله سبحانه وتعالى إبراهيم| ببناء الكعبة، فقام إبراهيم| استجابة لأمر الله، وطلب من ابنه إسماعيل أن يساعده على تنفيذ هذا الأمر الإلهي، ويعينه في بناء الكعبة، فقال له: ((يَا إِسْمَاعِيلُ، إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِأَمْرٍ، قَالَ: فَاصْنَعْ مَا أَمَرَكَ رَبُّكَ، قَالَ: وَنُعِينِي؟ قَالَ: وَأُعِينُكَ، قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَبْنِيَ هَاهُنَا بَيْتًا، وَأَشَارَ إِلَى أَكْمَةٍ مُزْتَفِعَةٍ عَلَى مَا حَوْلَهَا، قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ رَفَعَا الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ، فَجَعَلَ إِسْمَاعِيلُ يَأْتِي بِالْحِجَارَةِ وَإِبْرَاهِيمُ يَنْبِي، حَتَّى إِذَا انْتَفَعَ الْبِنَاءُ، جَاءَ بِهَذَا الْحَجَرِ فَوَضَعَهُ لَهُ فَقَامَ عَلَيْهِ، وَهُوَ يَنْبِي وَإِسْمَاعِيلُ يُتَاوَلُهُ الْحِجَارَةَ، وَهُمَا يَقُولَانِ: {رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [البقرة: 127]، قَالَ: فَجَعَلَا بَيْنَيْنَا حَتَّى يَدُورَا حَوْلَ الْبَيْتِ وَهُمَا يَقُولَانِ: {رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [البقرة: 127])).⁽²⁾

3- التعاون بين ذي القرنين وأصحاب السد: (لقد مكن الله عز وجل لذي القرنين في الأرض، وآتاه من كل شيء سبباً، فتوفرت القدرة والسلطة، وتبَيَّأت أمامه أسباب القوة والنفوذ التي لم تتوفر لكثير غيره. وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا إِنَّا مَكِّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا [الكهف: 83 - 84]، ومع ذلك لم يستغن ذو القرنين عن معونة الآخرين حينما أراد أن يقوم بعمل كبير، وإنجاز عظيم: {حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا} [الكهف: 93 - 94]، فصارهم ذو القرنين بأن مثل هذا العمل الضخم يحتاج إلى التعاون، ولا يتم دونه؛ فقال: مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا [الكهف: 95]. . . الآيات، فماذا كانت نتيجة هذا التعاون العظيم؟ كانت نتيجته إتمام عمل عظيم، سد منيع، لا يستطيع مهاجموه أن يعلو ظهره، ولا أن يحدثوا فيه

(1) تفسير المراغي (16/ 107).

(2) البخاري (3364).

خرقًا. فحبسوا بهذا السد أمة عظيمة، وهي يأجوج ومأجوج، وإلى اليوم يحاولون إحداث خرق فيه لكن هيبات هيبات إلى أن يأذن الله، إن ذا القرنين ومن معه أحسنوا العمل فعجز العدو عن خرقه. والدرس الذي نخرج به أن التعاون إذا أخلص له أهله، وبذلوا فيه بصدق ما استطاعوا حقق لهم من النتائج ما يكفي ويشفي)

5- التعاون قوة: عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا" (1).

قال ابن بطال: تعاون المؤمنين بعضهم بعضًا في أمور الدنيا والآخرة مندوب إليه بهذا الحديث (2). وقال أبو الفرج ابن الجوزي: ظاهره الإخبار ومعناه الأمر، وهو تحريض على التعاون (3). قال عطاء بن أبي رباح: تفقدوا إخوانكم عند ثلاث، فإن كانوا مرضى فعودوهم، أو مشاغيل فأعينوهم، أو نسوا فذكروهم (4).

6- من أعان أعين والجزاء من جنس العمل: وعن ابن عمر ÷، أن النبي ﷺ قال: ((الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَشْتُمُهُ، مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ بِهَا عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ. . .)) (5)

وعن أبي هريرة ÷ قال: قال رسول الله ﷺ: "مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسِّرْ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ" (6).

وقال أبو حمزة الشيباني لمن سألته عن الإخوان في الله من هم؟ قال: "هم العاملون بطاعة الله - عز وجل - المتعاونون على أمر الله - عز وجل - وإن تفرقت دورهم وأبدانهم.

7- التعاون نصره للظالم والمظلوم. فأما نصره المظلوم فواضحة وأما نصره الظالم فبحسب ما يتول إليه الأمر كما في حديث أنس ÷، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا"، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا، فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قَالَ: "تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ" (7).

(1) صحيح مسلم (2585).

(2) شرح صحيح البخاري لابن بطال (227/9).

(3) كشف المشكل من حديث الصحيحين (405/1).

(4) قوت القلوب (368/2).

(5) البخاري (2442).

(6) مسلم ((2699)).

(7) البخاري (2444).

قال ابن بطال: (والنصرة عند العرب: الإعانة والتأييد، وقد فسره رسول الله أن نصر الظالم منعه من الظلم؛ لأنه إذا تركه على ظلمه ولم تكفه عنه أذاه ذلك إلى أن يقتص منه؛ فمنعك له مما يوجب عليه القصاص نصره، وهذا من باب الحكم للشيء وتسميته بما يعول إليه⁽¹⁾ . . .)

8- التعاون سبيل لتحصيل الأجر؛ فعن أبي عبد الرحمن زيد بن خالد الجهني قال رسول الله ﷺ "مَنْ جَهَرَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِخَيْرٍ؛ فَقَدْ غَزَا"⁽²⁾

قال ابن بطال: (وقال الطبري: وفيه من الفقه أن كل من أعان مؤمناً على عمل بر فलلمعين عليه أجر مثل العامل، وإذا أخبر الرسول أن من جهز غارياً فقد غزا، فكذلك من فطر صائماً أو قواه على صومه، وكذلك من أعان حاجاً أو معتمراً بما يتقوى به على حجه أو عمرته حتى يأتي ذلك على تمامه فله مثل أجره. ومن أعان فإنما يجيء من حقوق الله بنفسه أو بماله حتى يغلبه على الباطل بمعونة فله مثل أجر القائم، ثم كذلك سائر أعمال البر، وإذا كان ذلك بحكم المعونة على أعمال البر فمثله المعونة على معاصي الله وما يكرهه الله، للمعين عليها من الوزر والإثم مثل ما لعاملها).⁽³⁾

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلُّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ، يَغِيْلُ بَيْنَ الْإِثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَيُعِينُ الرَّجُلَ عَلَى ذَاتِهِ فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا، أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ يُخْطُوهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَيُصِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ"⁽⁴⁾

التعاون بين الصحابة~

ولقد كان الصحابة~مثلاً يحتذى بهم في التعاون، وكانوا في ذلك المثل الأسمى، فكانوا كخلية النحل في تكاتفها وتعاونها، وكالجسد الواحد إذا اشتكى منهم عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، . . . فتعاونوا ولم يتعابوا. . وتناصروا ولم يتدابروا).

ومن مواقف التعاون بينهم ما يلي: عن أنس بن مالك~ صورة من تعاون الصحابة وتكاتفهم في حفر الخندق، فيقول: ((جعل المهاجرون والأنصار يخفرون الخندق حول المدينة، وينقلون التراب على متونهم، ويقولون: نحن الذين بايعوا محمداً. . . على الإسلام ما بقينا أبداً

والنبي ﷺ يجيبهم ويقول: اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة. . . فبارك في الأنصار والمهاجرة))⁽⁵⁾.

ومنه تعاون أبي بكر وأهل بيته مع النبي ﷺ في هجرته: حيث جهز أبو بكر راحلتين عندما أعلمه النبي ﷺ بالهجرة، وخطر بنفسه وهاجر مع النبي ﷺ، وعندما وصلا غار ثور دخل أبو بكر أولاً ليستبرأ الغار للنبي

(1) شرح صحيح البخاري لابن بطال (572/6).

(2) البخاري (2843).

(3) شرح صحيح البخاري لابن بطال (51/5).

(4) البخاري (2989).

(5) البخاري (2835).

× كي لا يصيبه أذى، وأعدت أسماء بنت أبي بكر لها جھاز السفر، وكان عبد الله بن أبي بكر يأتي لها بأخبار قريش، وعامر بن فھيرة مولى أبي بكر يريح الغنم عليهما وهما في الغار ليشربا من لبنها⁽¹⁾.

ومنه تعاون الصحابة رضوان الله عليهم في بناء مسجد النبي ×: عندما قال النبي × لبني النجار: ((يا بني النجار ثامنوني بحائطكم هذا، قالوا: لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله، فقال أنس: فكان فيه ما أقول لكم قبور المشركين، وفيه خربٌ وفيه نخل، فأمر النبي × بقبور المشركين، فنبشت، ثم بالحرب فسويت، وبالنخل فقطع، فصفوا النخل قبلة المسجد وجعلوا عضادتيه الحجارة، وجعلوا ينقلون الصخر وهم يرتجزون والنبي × معهم، وهو يقول: اللهم لا خير إلا خير الآخرة فاغفر للأَنْصار والمهاجرة))⁽²⁾

ومنه تعاون الأنصار مع المهاجرين بعد الهجرة: قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ÷: لَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ آخَى رَسُولُ اللَّهِ × بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، فَقَالَ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ: إِنِّي أَكْثَرُ الْأَنْصَارِ مَالًا، فَأَقْسِمُ لَكَ نِصْفَ مَالِي، وَأَنْظُرَ أَيَّ زَوْجَتِي هَوَيْتَ تَزَلُّتَ لَكَ عَنْهَا، فَإِذَا حَلَّتْ، تَزَوَّجْتَهَا، قَالَ: فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: لَا حَاجَةَ لِي فِي ذَلِكَ هَلْ مِنْ سَوْقٍ فِيهِ تِجَارَةٌ؟ قَالَ: سَوْقٌ قَيْنِقَاعَ، قَالَ: فَعَدَا إِلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، فَأَتَى بِأَقْطِ وَسَمْنٍ، قَالَ: ثُمَّ تَابَعَ الْغُدُوَّ، فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَلَيْهِ أَثَرُ صُفْرَةٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ×: "تَزَوَّجْتَ؟"، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: "وَمَنْ؟"، قَالَ: امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: "كَمْ سَقَتْ؟"، قَالَ: زَنَةَ نَوَافٍ مِنْ ذَهَبٍ - أَوْ نَوَافٍ مِنْ ذَهَبٍ -، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ×: "أُولُمُ وَلَوْ بِشَاةٍ"⁽³⁾

ومن تعاون الصحابة أيضًا: موقفهم في قصة سلمان ÷ عندما كاتب سيده، وكان فقيرًا لا يملك ما كاتب عليه، فقال النبي × للصحابة: ((أعينوا أخاكم))⁽⁴⁾ فأعانوه، حتى تحرر من رقه وأصبح حرًا. أقسام التعاون: ينقسم التعاون إلى قسمين: 1 - تعاون على البر والتقوى، وقد تقدم.

2 - تعاون على الإثم والعدوان.

قال ابن تيمية: وَلَا يَجِلُّ لِلرَّجُلِ أَنْ يَكُونَ عَوْنًا عَلَى ظُلْمٍ؛ فَإِنَّ التَّعَاوُنَ نَوَعَانِ: الْأَوَّلُ: تَعَاوُنٌ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى: مِنَ الْجِهَادِ وَإِقَامَةِ الْحُدُودِ وَاسْتِيفَاءِ الْخُقُوقِ وَإِعْطَاءِ الْمُسْتَحَقِّينَ؛ فَهَذَا مِمَّا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ. وَمَنْ أَمْسَكَ عَنْهُ خَشْيَةً أَنْ يَكُونَ مِنْ أَعْوَانِ الظَّالِمَةِ فَقَدْ تَرَكَ فِرْضًا عَلَى الْأَعْيَانِ أَوْ عَلَى الْكَيْفَايَةِ؛ مُتَوَهِّمًا أَنَّهُ مُتَوَرِّعٌ. وَمَا أَكْثَرَ مَا يَشْتَبِهُ الْجُبْنَ وَالْفَشْلَ بِالْوَرَعِ إِذْ كُلٌّ مِنْهُمَا كَفٌّ وَأَمْسَاكٌ. وَالثَّانِي: تَعَاوُنٌ عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ كَالْإِعَانَةِ عَلَى دَمٍ مَعْصُومٍ أَوْ أَخْذِ مَالٍ مَعْصُومٍ أَوْ ضَرْبٍ مَنْ لَا يَسْتَحِقُّ الضَّرْبَ وَنَحْوَ ذَلِكَ فَهَذَا الَّذِي حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ⁽⁵⁾.

(1) البخاري (3905).

(2) البخاري (428).

(3) البخاري (2048).

(4) مسند أحمد (23737).

(5) مجموع الفتاوى (283/28).

فوائد التعاون: من فوائد التعاون:

- 1 - استفادة كل فرد من خبرات وتجارب الأفراد الآخرين في شتى مناحي الحياة. كما وقع للمسلمين في غزوة الخندق حيث استفادوا من خبرة وتجربة سلمان ÷.
 - 2 - إظهار القوة والتماسك.
 - 3 - تنظيم الوقت وتوفير الجهد.
 - 4 - رفع الظلم عن وقع عليه كما وقع في حلف الفضول الذي شارك فيه النبي x.
 - 5 - تقاسم الحمل وتخفيف العبء مثل ما قام به المسلمون في تجهيز جيش العسرة. وهذا يؤدي بدوره إلى سهولة إنجاز الأعمال الكبيرة التي لا يقدر عليها الأفراد
 - 6 - سهولة التصدي لأي أخطار تواجه الإنسان من حوله.
 - 7- القضاء على الأنانية وحب الذات.
 - 8 - نيل تأييد الله ونيل محبته ورضاه.
 - 9 - يزيل الضغائن والحقد والحسد من القلوب.
 - 10 - يساعد الفرد على بذل المزيد من الجهد والقوة.
- مضار التعاون على الإثم والعدوان: 1 - تقلب نظام المجتمع وتساعد على فساد الذم.
- 2 - تفتح أبواب الشر وتطمس معالم الحق ليرتع الباطل.
 - 3 - تساعد على طغيان الحاكم وترخص له الظلم.
 - 4- تضيع الحقوق، وتصل لغير أهلها ومستحقها.
- صور من التعاون؛ للتعاون صور كثيرة نذكر منها ما يلي: 1- التعاون على دفع الظلم، وتفريج كربات المهمومين وسد حاجات المعوزين. . 2- التعاون في الدعوة إلى الله. 3- التعاون في تزويج العزاب. 4- التعاون في طلب العلم والتفقه في الدين. 5- التعاون مع الأمير الصالح وتقديم النصيح له ومساعدته على القيام بواجباته. فالحاكم الصالح يحتاج إلى المعاونة والمساعدة، مثله مثل غيره من البشر، بل هو أشد حاجةً إلى ذلك من غيره، بسبب الأعمال والتكاليف الكثيرة التي يواجهها في إدارة البلاد، ومحال أن يتصدر لكل شئون البلاد ويديرها دون وجود المعين والمساعد، (فإن الإمام ليس هو ربا لرعيته حتى يستغني عنهم، ولا هو رسول الله إليهم حتى يكون هو الواسطة بينهم وبين الله. وإنما هو والرعية شركاء يتعاونون هم وهو على مصلحة الدين والدنيا، فلا بد له من إعانتهم، ولا بد لهم من إعانتة، كأمر القافلة الذي يسير بهم في الطريق: إن سلك بهم الطريق اتبعوه، وإن أخطأ عن الطريق نبهوه وأرشدوه، وإن خرج عليهم صائلٌ يصلوهم عليهم تعاون هو وهم على دفعه)

- 6- تقديم النصيحة لمن يحتاجها. 7- التعاون في جمع التبرعات والصدقات والزكوات وتوزيعها على مستحقيها. 9- التعاون على حل الخلافات والنزاعات التي تقع في وسط المجتمع المسلم.
- مضادات التعاون: 1 - التعصب والحزبية، و الأنانية، وعدم حب الخير للآخرين. 2 - اتباع الأهوام والشكوك بأن هذا التعاون سيكون في صالح أفراد دون أفراد. 3 - حب الذات، والظهور والصدارة والزعامة وغيرها من حظوظ النفس. 4 - الحسد وسوء الظن بالآخرين.
- 5- عدم التعود على التعاون، والعمل في بيئة متعاونة متكاثفة. 6 - الكبر على الآخرين، وتوهم الفرد أنه أعظم من الآخرين. 7 - الكسل.
- الأسباب المعينة على اكتساب التعاون: هناك العديد من الطرق والسبل التي تعمل على تقوية التعاون وتثبيته بين المؤمنين ومن ذلك: 1 - التعارف. 2 - معرفة المسلم لحقوق المسلم عليه. 3 - احتساب الأجر. 4 - تنمية الروح الجماعية. 5 - تطهير القلب من الأمراض. 6 - إحسان الاختلاط بالناس.⁽¹⁾
- مبادئ التعاون: لقد أقام الإسلام التعاون بين المسلمين على أساس محكم، ومدّ له في كل ناحية من نواحي الحياة بسبب. فالتمثيل القرآني لأهل الإيمان أنهم كالبنين المرصوص، وفي التمثيل النبوي كالجسد الواحد. فأمور الإسلام ومطلوباته لا تتحقق على وجهها إلا بالتعاون. ودين الله بنين شامخ لا يقوم ولا يثبت إلا حين تتراس لبناته وتتضامن مبانيه لتسد كل لبنة ثغرتها.
- فالصلوات الخمس جماعة وجمعة، وصلاة العيدين وآدابها، والحج بشعائره، وعقد النكاح بوليّته وآدابه، وعقيقة المولود، وإجابة الدعوى حتى للصائم، كلها مناشط عبادية اجتماعية تعاونية، ولا تكون صورتها الشرعية إلا كذلك. وينضم إلى اجتماع الأعياد اجتماع الشدائد والكرب في صلوات الاستسقاء والكسوف والجنّازة. إنه انتظام عجيب بين أهل الإسلام في مواطن السرور والحزن، ناهيك بصورة الأخوة، ومبدأ الشورى، وحقوق المسلمين فيما بينهم؛ في القربى والجوار والضيف وابن السبيل واليتامى والمساكين، مع ما يحيط بذلك من سياج الآداب الاجتماعية؛ من إفشاء السلام، وفسح المجالس، مما بسطه قانون الأخلاق في الإسلام. . . أما أنواع المعاملات والتعاملات فذلك جلي في عقود المضاربة والغارية والهبة والمهاداة وفرض الدية على العاقلة. وثمة صور من المعاونات في كف الظلم، ونصرة المظلوم، ودفع الصائل بسلاح أو مال. بل هل يقوم الجهاد، وتقام الحدود، وتستوفى الحقوق، ويقوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا بالتعاون والتآزر. وهناك التعاون بالرأي، بما يدل على الحق، ويخرج من الحيرة، وينقذ من المأزق والهلكة، في النصيحة والمشاورة، وقد يكون تعاوناً بالجاه؛ من الشفاعة لذي الحاجة عند من يملك قضاءها. ومن هنا قال القرطبي رحمه الله: " فواجب على الناس التعاون، فالعالم يعين بعلمه، والغني بماله، والشجاع بشجاعته في سبيل الله، وأن يكون المسلمون متظاهرين كاليد الواحدة، فالمؤمنون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم ". فإذا وضع المسلمون أيديهم

(1) انظر موسوعة الأخلاق الإسلامية (1/132-134).

على هذه الأسباب الوثيقة، يتقدمهم أولو الأمر والعلماء والدعاة بلغوا المكانة المحفوفة بالعزة المشار إليها بقوله سبحانه: {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ} [المنافقون: 8]⁽¹⁾

قال الشاعر: لولا التعاون بين الناس ما شرفت. . . نفس ولا ازدهرت أرض بعرمان
وقال آخر: الناس للناس من بدو وحاضرة. . . بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم
وقال آخر: إذا العبء الثقيل توزعته. . . رقاب القوم خف على الرقاب⁽²⁾



(1) موسوعة الأخلاق الإسلامية (141/1) وانظر: (1) ((مجلة البحوث الإسلامية)) العدد (51)، ربيع الأول - جمادى الثانية، 1418هـ، ص (212 - 215).
(2) بيتيمة الدهر (178/2).

3- الشباب بين الواقع والمأمول

عناصر الخطبة:

الشباب عنوان الأمة

شبابها

خطورة مرحلة الشباب

الإسلام بالشباب

نماذج مشرقة من الشباب المؤمن

حاجة الأمة إلى

مظاهر اهتمام

توجيهات نبوية للشباب

رسالة إلى أولياء الأمور

التفصيل

مقدمة: يمثل الشباب من حيث الكم 60% من مجموع الأمة. ومن حيث الكيف يمثل قلب الأمة النابض وقوتها الدافعة ودرعها الواقي. . فهم بدورها إذا أظلم ليلاً، وهم سيوفها إذا جَلَّ خطبها. . هم كنزها المدخر، ورصيدُها المعتمد. . ومستودع آمالها، وموضع ثقافتها ورجائها.⁽¹⁾

الشباب عنوان الأمة:

إذا أردت أن تعرف ماهية الأمة وحقيقة أمرها، فلا تسأل عن ذهبها وبترونها ورصيدِها المالي، ولكن انظر إلى شبابها، فإن رأيت شباباً متديناً متمسكاً بقيمه الأصيلة منشغلاً بمعالي الأمور، قابضاً بأذيال الكمال وأهداب الفضائل فاعلم أنها أمة جليلة الشأن، رفيعةُ القدر والجاه، قوية البناء، مرفوعة العلم لا ينال منها عدو، ولا يطمع فيها قوى. وإذا رأيت شباب الأمة هابط الخلق والقيم، منشغلاً بسفاسف الأمور، يتساقط على الرذائل كما يتساقط الذباب على جيف الفلاة فاعلم أنها أمة ضعيفة البناء مفككة الأوصال هشة الإرادة، سرعان ما تتهاوى أمام عدوها، فيستلب خيراتها، ويحقر مقدساتها، ويهين كرامتها، ويشوه تاريخها وثقافتها.⁽²⁾

حاجة الأمة إلى شبابها:

(1) التربية الإسلامية للشباب (ص: 191)

(2) التربية الإسلامية للشباب (ص: 192)

الشباب هم عصب الحياة وقوامها، صلاحهم صلاح لأمتهم، وفسادهم فساد لأمتهم. وما ظهر الدين وعرف الناس شرائع النبیین إلا بفضل الشباب الصالحين الذين استجابوا لله والرسول x، والتاريخ أصدق شاهد بفضل الشباب الناشئين في طاعة الله من أمثال علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد وخالد بن الوليد وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس ومحمد بن القاسم وأرضاهم⁽¹⁾.
خطورة مرحلة الشباب:

إذا نظرت بعين الحقيقة إلى فترة الشباب، وجدتها فترة التأثير والتأثر، والعطاء والبذل، لأننا ونحن نعُدُّ الشباب نستثمر مواهبه، ونفجر طاقاته ونستغلها في البناء والتعمير، ودفع العدو المغير، هي فترة الحاجة الماسة إلى التوجيه والترشيد والتبصير والعناية والرعاية. هي فترة وضع حجر الأساس، وكلما كان الأساس متيناً كان البناء قويا شامخ الذرى، وكلما كان الأساس ضعيفا كان البناء هشاً سرعان ما يتحطم وينهار عند أول هبة ريح أو رشة مطر. إذن هي فترة لها ما بعدها، ومرحلة لها أثرها الخطير في المستقبل: سلماً أو إيجاباً. صلاحاً أو فساداً، سموً أو هبوطاً.⁽²⁾

قال ابن الجوزي: وهذا هو الموسم الأعظم الذي يقع فيه جهاد النفس والهوى وغلبة الشيطان. وبصيانة هذا الموسم يحصل القرب من الله عز وجل، وبالتفريط فيه يقع الخسران العظيم، وبالصبر فيه عن الزلل يثنى على الصابرين، كما أثنى الله فيه على الصابر يوسف الصديق؛ إذ لو زل من كان يكون؟⁽³⁾

ولخطورة هذه المرحلة من العمر خُصَّتْ بسؤال بين يدي الله عز وجل يوم القيامة: عَنْ أَبِي بَرَّةَ الْأَسْلَمِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ x: "لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَا فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَا أَهْلَاهُ"⁽⁴⁾

فأنت - أيها المسلم - مسؤول أمام الله يوم القيامة عن هذا الشباب، وهو المرحلة التي يكون الإنسان فيها قوياً فتياً، ماذا عمل فيه؟ وبماذا استغله؟
وَإِذَا خَلُوتَ بِرَبِّكَ فِي ظِلْمَةٍ... وَالتَّنَفُّسُ دَاعِيَةً إِلَى الطُّغْيَانِ
فاستحي من نَظَرِ الْإِلَهِ وَقُلْ لَهَا... إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الظَّلَامَ يَرَانِي.⁽⁵⁾
مظاهر اهتمام الإسلام بالشباب:

- (1) دور الشباب المسلم في الحياة (ص: 3)
- (2) التربية الإسلامية للشباب (ص: 191)
- (3) مواسم العمر لابن الجوزي (ص: 45)
- (4) رواه الترمذي (2417) وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (629 / 2)
- (5) مجموعة القصائد (1 / 160)

لم يبدأ اعتناء الإسلام بالشباب عند بلوغهم سنّ الشباب، بل اعتنى بهم وهم نطفٌ في أصلاب آبائهم وترائب أمهاتهم وذلك حين دعا إلى:

1- اختيار الزوجة والتحري من كرم أصلها وطيب منبتها؛ لأن الإنسان إذا أراد أن يبذر بذرا اختار له الأرض الصالحة بغية أن يخرج نباته بإذن ربه، {وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبَثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا} وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -، عَنِ النَّبِيِّ - قَالَ: "تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا وَلِحَسَنِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا، فَاطْفَرُ بِذَاتِ الدِّينِ، تَرِبَتْ يَدَاكَ" (1)

2- من آداب المعاشرة الزوجية أن يسمى الله عند جماعه، لحديث ابن عباس⁸، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: "لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ، فَقَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنِّتْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَإِنَّهُ إِنْ يَمُتْزُ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ فِي ذَلِكَ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا" (2) وهكذا يدعو الأبوان لابنهما قبل أن يولد بل قبل تكوينه. . حتى إذا جاء إلى الحياة نشأ نشأة رحمانية بعيدة عن غواية الشيطان ومكائده.

3- أمر الشرع أن يُطعم الطفل، ويغذى من حلال؛ لأن الذي ينبت لحمه من حلال ينشأ وهو يحب الحلال -كما أن الذي ينبت لحمه من حرام ينشأ وهو يحب الحرام.

4- إذا بلغ الأطفال السابعة من أعمارهم أمرناهم بالصلاة فإن داوموا عليها فيها ونعمت، وإلا ضربناهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقنا بينهم في المضاجع لينتبهوا على العفة، ولسد أي ذريعة إلى تعلم الفاحشة.

ففي حديث عمرو بن شعيب، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: "مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ" (3)

5- ولقد رسم النبي - ﷺ فيما رسم منهجاً واضحاً للآباء والمربين لتربية شباب الأمة، ممثلاً في ابن عمه الغلام عبد الله بن عباس⁸، حيث قال له: "يَا غُلَامُ إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظَكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ" (4)

فحينما نتأمل هذه التوجيهات النبوية التي يوجهها النبي - ﷺ لابن عمه ومن في مثل سببه، نرى أنها متناسبة مع الشباب ومع طموحات الشباب. فمن حفظ الله عز وجل في حال قوته

(1) رواه البخاري (5090) ومسلم (1466)

(2) رواه البخاري (7396) ومسلم (1434)

(3) رواه أبو داود (495) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (2/ 1022)

(4) رواه الترمذي (2516) وصححه الألباني في صحيح الجامع (2/ 1318)

وشبابه حفظه الله عز وجل في كبره وضعفه. (1)

فهذا رجل من السلف الصالح هو الطيب أبو الطبري قد جاوز المائة سنة وهو ممتع بعقله وقوته فوثب يومًا من سفينة كان فيها إلى الأرض وثبة شديدة فعوتب على ذلك فقال: هذه جوارح حفظناها في الصغر فحفظها الله علينا في الكبر. (2)

قال محمد بن الفضل: منذ أربعين سنة ما أمليت على كاتب سيئته، ولو فعلت ذلك لاستحييت منها. (3)

وَعَكُسَ هَذَا أَنَّ بَعْضَ السَّلَفِ رَأَى شَيْخًا يَسْأَلُ النَّاسَ فَقَالَ: إِنَّ هَذَا صَعِيفٌ صَبَّغَ اللَّهُ فِي صَغَرِهِ، فَصَبَّغَهُ اللَّهُ فِي كِبَرِهِ. (4)

نماذج مشرقة من الشباب المؤمن:

*إبراهيم عليه السلام، واجه قومه وأنكر عليهم عبادة الأوثان، بل وكسرها وهو شاب يافع إقالوا سَمِيعًا فَتَى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ { [الأنبياء: 60]

** فتية الكهف الذين خلّد الله ذكرهم في كتابه {إِنَّهُمْ فَتِيَّةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَرَدَّنَاهُمْ هُدًى} [الكهف: 13] هؤلاء الشباب لم يرضوا لأنفسهم الاتباع الأعمى للأعراف الباطلة المخالفة للقطرة السليمة، فتركوا مجتمعهم الذي عَجَّ فيه الشرك والجهل، واختاروا كهفًا ضيقًا مخيفًا خشنًا، ليكون مأوى لهم، كل ذلك من أجل دينهم وعقيدتهم.

** والفقي الداعية - غلام الأخدود- يسعى للموت، ويطلب القتل، تهون عليه روحه إذا كان في إزهاقها إيمان أمة، وصلاح شعب. وقصته مشهورة ومروية في الصحيح. (5)

*أسامة يقود الجيوش ولم يبلغ السابعة عشر من عمره، ومحمد بن القاسم يفتح بلاد الهند والسند ولم يبلغ العشرين، وعقبة بن نافع شاب في الخامسة والعشرين من عمره يفتح إفريقيا، وينشر فيها الإسلام، ويجوب المغرب حتى وقف على المحيط موحدًا مصليًا، وهو يقول: "والله، لو أعلم أن وراء هذا الماء أرضًا لحضته بفرسي هذا رافعًا لا إله إلا الله". (6)

** وهذا مالك بن الحويرث وأصحابه يسافرون إلى النبي x لتعلم العلم.

(1) دروس للشيخ صالح بن حميد (3 / 9)

(2) صفة الصفوة (1 / 560)

(3) مواسم العمر لابن الجوزي (ص: 47)

(4) جامع العلوم والحكم (1 / 466)

(5) رواه مسلم (3005)

(6) موسوعة خطب المنبر (ص: 3387)

عن مَالِكِ بن الحويرث ÷ قال، أَتَيْنَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَخُحْنُ شَبَبَةٍ مُتَقَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عَشْرِينَ يَوْمًا وَلَيْلَةً، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجِيمًا رَفِيقًا، فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّا قَدِ اشْتَهَيْنَا أَهْلَنَا - أَوْ قَدِ اسْتَفْتْنَا - سَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا بَعْدَنَا، فَأَخْبَرْنَاهُ، قَالَ: "ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِكُمْ، فَاقْبَلُوا فِيهِمْ وَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ - وَذَكَرَ أَشْيَاءَ أَحْفَظُهَا أَوْ لَا أَحْفَظُهَا - وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أَصْلِي، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤْذِنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، وَلْيُؤَمِّمْكُمْ أَكْبَرُكُمْ" (1)

وَكَانَ الشَّافِعِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - يُنْشِدُ:

إِذَا رَأَيْتَ شَبَابَ الْحَيِّ قَدْ نَشَّوْا... لَا يَحْمِلُونَ فَلَالَ الْحَبْرِ وَالْوَرَقَا
وَلَا تَرَاهُمْ لَدَى الْأَشْيَاحِ فِي حَلَقٍ... يُعَوِّنُونَ مِنْ صَالِحِ الْأَخْبَارِ مَا اتَّسَقَا
فَعَدَّ عَنْهُمْ وَدَعَاهُمْ إِيَّاهُمْ هَمَجٌ... قَدْ بَدَلُوا بِعُلُقِ الْهَمَّةِ الْحُمَقَا. (2)

* وهذا سفيان بن عيينة شيخ المحدثين

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ التَّيْمِيِّ الْهَلَالِيُّ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: كُنْتُ فِي مَجْلِسِ ابْنِ عُيَيْنَةَ، فَتَنَظَّرَ إِلَى صَبِيِّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَكَانَ أَهْلُ الْمَسْجِدِ تَهَافُتُوا بِهِ لِصِغَرِ سِنِّهِ، فَقَالَ سُفْيَانُ: {كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ}، ثُمَّ قَالَ: لَوْ رَأَيْتُنِي وَلِي عَشْرُ سِنِينَ، طَوِيلِي حَمْسَةَ أَشْهُارٍ، وَوَجْهِي كَالدِّينَارِ، وَأَنَا كَشُعْلَةَ نَارٍ، ثِيَابِي صَعَارٌ، وَأَكْلِي قِصَارٌ، وَذَنَابِي بِمَقْدَارٍ، وَنَعْلِي كَأَذَانِ الْفَارِ، أَخْتَلِفُ إِلَى عُلَمَاءِ الْأَمْصَارِ مِثْلَ الزُّهْرِيِّ وَعَمْرُو بْنِ دِينَارٍ، أَجْلِسُ بَيْنَهُمْ كَالْبُسْمَارِ، وَمَخْبِرَتِي كَالْجُوزَةِ، وَمَقْلَمَتِي كَالْمُوزَةِ، وَقَلَمِي كَاللُّوزَةِ، فَإِذَا دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ قَالُوا: أَوْسِعُوا لِلشَّيْخِ الصَّغِيرِ، أَوْسِعُوا لِلشَّيْخِ الصَّغِيرِ. ثُمَّ تَبَسَّمَ ابْنُ عُيَيْنَةَ وَصَحَّحَ. (3)

قال سهل بن عبد الله التستري: كنت وأنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل فأنظر إلى صلاة خالي محمد بن سوار فقال لي يوماً ألا تذكر الله الذي خلقك؟ فقلت: كيف أذكره؟ قال: قل بقلبك عند تقبلك... فتعلمت القرآن وحفظته وأنا ابن ست سنين أو سبع سنين وكنت أصوم الدهر وقوتي من خبز الشعير اثنتي عشرة سنة. (4)

* وهذا عبد الله بن أبي بكر الصديق

تقول عائشة ؓ وهي تحكي وقائع هجرة النبي ﷺ: وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ يَبِيتُ عِنْدَهُمَا، وَهُوَ غُلَامٌ شَابٌّ، تَقِفُ لَيْلٌ، فَيُدْلِجُ مِنْ عِنْدِهِمَا بِسَحَرٍ، فَيُصْبِحُ مَعَ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ كَبَابَتٍ، فَلَا يَسْمَعُ أَمْرًا، يَكْتَادَانِ بِهِ إِلَّا وَعَاهُ، حَتَّى يَأْتِيَهُمَا بِخَبَرِ ذَلِكَ حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلَامُ" (5)

* وهذا زيد بن ثابت يجمع القرآن الكريم

(1) رواه البخاري (631) ومسلم (674)

(2) الآداب الشرعية (1/ 212)

(3) اللطائف من دقائق المعارف لأبي موسى المديني (ص: 271)

(4) إحياء علوم الدين (3/ 74)

(5) رواه البخاري (3905)

عن زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيِّ ÷ قَالَ: أُرْسِلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ مَقْتَلًا أَهْلَ الْيَمَامَةِ وَعِنْدَهُ عُمَرُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّ عُمَرَ أَتَانِي، فَقَالَ: إِنَّ الْقَتْلَ قَدْ اسْتَحَرَّ يَوْمَ الْيَمَامَةِ بِالنَّاسِ، وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَسْتَحِرَّ الْقَتْلُ بِالْقُرَّاءِ فِي الْمَوَاطِنِ، فَيَذْهَبَ كَثِيرٌ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا أَنْ تَجْمُعُوهُ، وَإِنِّي لَأَرَى أَنْ تَجْمَعَ الْقُرْآنَ "، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: قُلْتُ لِعُمَرَ: "كَيْفَ أَفْعَلُ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟" فَقَالَ عُمَرُ: هُوَ وَاللَّهِ خَيْرٌ، فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يَرَاغِبُنِي فِيهِ حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ لِدَلِكِ صَدْرِي، وَرَأَيْتُ الَّذِي رَأَى عُمَرُ، قَالَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ: وَعُمَرُ عِنْدَهُ جَالِسٌ لَا يَتَكَلَّمُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ، وَلَا تَنْهَمُكَ، "كُنْتُ تَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ"، فَتَتَبَعَ الْقُرْآنَ فَاجْمَعُهُ، فَوَاللَّهِ لَوْ كَلَّفَنِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الْجِبَالِ مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَيَّ مِمَّا أَمَرَنِي بِهِ مِنْ جَمْعِ الْقُرْآنِ... " (1)

* بَلَغَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَنَّ ابْنًا لَهُ اشْتَرَى خَاتَمًا بِأَلْفٍ دِرْهَمٍ فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ: فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي فَبِغِ الْخَاتَمَ وَأَشْبِعْ أَلْفَ بَطْنٍ وَاتَّخِذْ خَاتَمًا مِنْ دِرْهَمَيْنِ وَاجْعَلْ فَصَّهُ حديدًا صبيثًا وَاكْتُبْ عَلَيْهِ رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا عَرَفَ قَدْرَ نَفْسِهِ. (2)

عن الليث بن سعد، عن أبي الأسود قال: أسلم الزبير وهو ابن ثمانين سنين، وهاجر وهو ابن ثمانين عشرة، وكان عم الزبير يعلق الزبير في حصير ويدخن عليه النار، وهو يقول: ارجع، فيقول الزبير: لا أكره أبدا. (3)

وَعَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: إِنَّ أَوَّلَ مَنْ سَلَّ سَيْفَهُ فِي اللَّهِ الرَّبِيرُ، نَفَحَتْ نَفَحَهَا الشَّيْطَانُ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِ وَهُوَ بِأَعْلَى مَكَّةَ، فَسَلَّ الرَّبِيرُ سَيْفَهُ، ثُمَّ خَرَجَ يَشُقُّ النَّاسَ - وَهُوَ غُلَامٌ ابْنُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً بِيَدِهِ السَّيْفُ، فَمَنْ رَأَاهُ عَجِبَ، وَقَالَ: الْغُلَامُ مَعَهُ السَّيْفُ - حَتَّى أَتَى النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ بِأَعْلَى مَكَّةَ، فَقَالَ: "مَالِكُ يَا زَيْبُرُ؟" قَالَ: أُخْبِرْتُ أَنَّكَ أُخِذْتَ، فَأَتَيْتُ أَضْرِبُ بِسَيْفِي مَنْ أَخَذَكَ، فَصَلَّى عَلَيْهِ وَدَعَا لَهُ وَلِسَيْفِهِ. (4)

* عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، أَنَّهُ قَالَ: بَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ فِي الصَّبِّ يَوْمَ بَدْرٍ، نَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَشِمَالِي، فَإِذَا أَنَا بَيْنَ غُلَامَيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ حَدِيثَةِ أَسْنَانُهُمَا، تَمَثَّيْتُ لَوْ كُنْتُ بَيْنَ أَضْلَعٍ مِنْهُمَا، فَعَمَّرَنِي أَحَدُهُمَا، فَقَالَ: يَا عَمَّ، هَلْ تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، وَمَا حَاجَتُكَ إِلَيْهِ يَا ابْنَ أَخِي؟ قَالَ: أُخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَئِنْ رَأَيْتُهُ لَا يُفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ حَتَّى يَمُوتَ الْأَعْجَلُ مِنَّا، قَالَ: فَتَعَجَّبْتُ لِذَلِكَ، فَعَمَّرَنِي الْآخَرُ، فَقَالَ: مِثْلُهَا، قَالَ: فَلَمْ أَنْسَبْ أَنْ نَظَرْتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ يَزُولُ فِي النَّاسِ، فَقُلْتُ: أَلَا تَرَيَانِ؟ هَذَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي تَسْلَانِ عَنْهُ، قَالَ: فَابْتَدَرَاهُ فَضَرَبَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا حَتَّى قَتَلَاهُ، ثُمَّ

(1) رواه البخاري (4679)

(2) الرسالة القشيرية (1/ 281)

(3) تهذيب الكمال (9/ 321)

(4) سير السلف الصالحين لإسماعيل بن محمد الأصبهاني (ص: 224)

انصرفاً إلى رسول الله ﷺ، فَأَخْبَرَاهُ، فَقَالَ: "أَيُّكُمْ قَتَلَهُ؟" فَقَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا: أَنَا قَتَلْتُ، فَقَالَ: "هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكُمَا؟" قَالَا: لَا، فَنَظَرَ فِي السَّيْفَيْنِ، فَقَالَ: "كِلَاكُمَا قَتَلَهُ"، وَقَضَى بِسَلِيهِ لِمُعَاذِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْجُمُوحِ، وَالرَّجُلَانِ مُعَاذُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْجُمُوحِ، وَمُعَاذُ بْنُ عَفْرَاءَ. (1)

** وهذا زيد بن ثابت ÷: فعن خَارِجَةَ بْنِ زَيْدٍ، أَنَّ أَبَاهُ زَيْدًا، أَخْبَرَهُ: أَنَّهُ لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ، قَالَ زَيْدٌ: ذُهِبَ بِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَعْجَبَ بِي، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا عَلَامٌ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ، مَعَهُ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ بَضْعَ عَشْرَةِ سُورَةٍ، فَأَعْجَبَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ، وَقَالَ: يَا زَيْدُ، تَعَلَّمْ لِي كِتَابَ يَهُودَ، فَإِنِّي وَاللَّهِ مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابِي قَالَ زَيْدٌ: فَتَعَلَّمْتُ لَهُ كِتَابَهُمْ، مَا مَرَّتْ بِي ثَمَسَ عَشْرَةَ لَيْلَةٍ حَتَّى حَدَّثْتُهُ وَكُنْتُ أَقْرَأُ لَهُ كُتُبَهُمْ إِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ، وَأُجِيبُ عَنْهُ إِذَا كَتَبَ. (2)

** لما فرغ عمر بن عبد العزيز من دفن سليمان بن عبد الملك خطب الناس ونزل ثم ذهب يتبوأ مقيلاً، فأتاه ابنه عبد الملك فقال: يا أمير المؤمنين ماذا تريد أن تصنع؟ قال: يا بني أقبل، قال: تقبل ولا ترد المظالم إلى أهلها؟! فقال: إني سهرت البارحة في أمر عمك سليمان، فإذا صليت الظهر رددت المظالم. فقال له ابنه: ومن لك أن تعيش إلى الظهر؟ قال: ادن مني أي بني، فدنا منه فقبل بين عينيه وقال: الحمد لله الذي أخرج من صليبي من يعينني على

ديني. ثم قام وخرج وترك القائلة وأمر مناديه فنادى: ألا من كانت له مظلمة فليرفعها. (3)

* لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة وفد عليه وفود العرب ووفد عليه وفد الحجاز، فاختر الوفاء غلاماً منهم، فقدموه عليهم لبيداً بالكلام، فلما ابتدأ الغلام بالكلام وهو اصغر القوم سناً قال عمر: محلاً يا غلام ليتكلم من هو أسن منك فهو أولى بالكلام، فقال: محلاً يا أمير المؤمنين، إنما المرء بأصغريه لسانه وقلبه، فإذا منح الله العبد لساناً لافظاً، وقلباً حافظاً، فقد استجاد له الحلية، يا أمير المؤمنين، ولو كان التقدم بالسن لكان في هذه الأمة من هو أسن منك، قال: تكلم يا غلام، وأذن له في الكلام. (4)

توجيهات نبوية للشباب:

1- الحفاظ على الوقت

** عن ابن عباس^٨ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعْطُهُ ((اغتنم خمساً قبل خمس: حَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَفَرَاعَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَشَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَغَنَّاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ⁽⁵⁾ كانت

(1) رواه البخاري (3141) ومسلم (1752)

(2) مسند أحمد (5/ 186) وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح (3/ 1320)

(3) البداية والنهاية (9/ 238)

(4) مروج الذهب للمسعودي (3/ 187)

(5) رواه الحاكم (4/ 306) وصححه الألباني في صحيح الجامع (1/ 244)

حفصة بنت سيرين تقول: يا معشر الشباب خذوا من أنفسكم وأتم شباب فإني ما رأيت العمل إلا في الشباب. (1)

2- ملازمة المساجد والصحبة الطيبة والبعد عن الشهوات

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ÷، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّتَا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَائِلُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ" (2)

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: حَصَّ الشَّابَّ لِكُونِهِ مَطْنَةً غَلَبَتْهُ الشَّهْوَةُ لِمَا فِيهِ مِنْ قُوَّةِ الْبَاعِثِ عَلَى مُتَابَعَةِ الْهَوَى فَإِنْ مَلَازَمَةَ الْعِبَادَةَ مَعَ ذَلِكَ أَشَدُّ وَأَدْلُ عَلَى غَلَبَةِ التَّقْوَى. (3)

عَنْ عَلْقَمَةَ، قَالَ: كُنْتُ أُمَشِي مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بِنِي، فَلَقِيَهُ عُثْمَانُ، فَقَامَ مَعَهُ يُحَدِّثُهُ، فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَلَا نَزَوَّجُكَ جَارِيَةً شَابَّةً، لَعَلَّهَا تُذَكِّرُكَ بَعْضَ مَا مَضَى مِنْ زَمَانِكَ، قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: لَئِنْ قُلْتَ ذَلِكَ، لَقَدْ قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغْصَى لِلْبَصَرِ، وَأَخْصَنَ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالْصَوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ" (4)

3- الأدب مع الكبير

* عَنْ عُمَرُو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفَ حَقَّ كَبِيرِنَا. (5)

وعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ÷ قال: جَاءَ شَيْخٌ يُرِيدُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَبْطَأَ الْقَوْمُ عَنْهُ أَنْ يُوسَّعُوا لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيُوقِّرَ كَبِيرَنَا" (6)

4- تذكر الموت

وقال بعضهم: أكثر من يموت الشباب وآية ذلك أن الشيوخ في الناس قليل. (7)
قال الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: "يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ إِنَّا كُمْ وَالتَّسْوِيفُ: سَوْفَ أَفْعَلُ، سَوْفَ أَفْعَلُ" (8)
كان أبو إسحاق السبيعي يقول: يا معشر الشباب اغتموا قتل ما تمزى بي ليلة إلا وأنا أقرأ فيها ألف آية. (1)

(1) صفة الصفوة (2/ 241)

(2) رواه البخاري (660) ومسلم (1031)

(3) فتح الباري (2/ 145)

(4) رواه البخاري (5065) ومسلم (1400)

(5) مسند أحمد (2/ 185) وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (ص: 142)

(6) الترمذي (1919) وصححه الألباني في صحيح الترمذي (4/ 419)

(7) لطائف المعارف لابن رجب (ص: 314)

(8) قصر الأمل لابن أبي الدنيا (ص: 142)

مَرَّ بِالْحَسَنِ شَابٌ عَلَيْهِ بَرَّةٌ لَهُ حَسَنَةٌ فَدَعَاهُ فَقَالَ: ابْنُ آدَمَ مُعْجَبٌ بِشَبَابِهِ مُعْجَبٌ بِجَمَالِهِ كَأَنَّ الْقَبْرَ قَدْ وَارَى بَدَنَكَ، وَكَأَنَّكَ قَدْ لَاقَيْتَ عَمَلَكَ يَا وَيْحَكَ دَاوِ قَلْبَكَ فَإِنَّ حَاجَةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى الْعِبَادِ صَلَاحُ قُلُوبِهِمْ. (2)

5- الجد في طلب الآخرة

قال الله: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ} [آل عمران: 142]

كَانَ الْحَسَنُ كَثِيرًا مَا يَقُولُ: يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، عَلَيْكُمْ بِالْآخِرَةِ فَاطْلُبُوهَا؛ فَكَثِيرًا رَأَيْنَا مَنْ طَلَبَ الْآخِرَةَ فَأَدْرَكَهَا مَعَ الدُّنْيَا، وَمَا رَأَيْنَا أَحَدًا طَلَبَ الدُّنْيَا فَأَدْرَكَ الْآخِرَةَ مَعَ الدُّنْيَا. (3)
قال الجُنَيْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ: كَانَ السَّرِيُّ يَقُولُ لَنَا وَنَحْنُ حَوْلَهُ: أَنَا لَكُمْ عِبْرَةٌ، يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، اعْمَلُوا فَإِنَّمَا الْعَمَلُ فِي الشَّيْبَةِ. (4)

وكان يَقُولُ أَيضًا: يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ جِدُوا قَبْلَ أَنْ تَبْلُغُوا مَبْلَغِي فَتَضَعُوا وَتَقْصُرُوا كَمَا ضَعَفْتُ وَقْصُرْتُ وَكَانَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ لَا يَلْحَقُهُ الشَّبَابُ فِي الْعِبَادَةِ. (5)

وكان يوسف بن أسباط يقول يا معشر الشباب بادروا بالصحة قبل المرض فما بقي أحد أحسده إلا رجل يتم ركوعه وسجوده وقد حيل بيني وبين ذلك. (6)

قال ابن الجوزي: يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ هَذَا زَمَانُ رِبْعِكُمْ فَأَيُّ زَهْرٍ عُلُومِكُمْ. (7)
عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ لِحُلَسَائِهِ: " يَا مَعْشَرَ الشُّيُوخِ: مَا يُنْتَظَرُ بِالزَّرْعِ إِذَا بَلَغَ؟ قَالُوا: الْحَصَادُ، قَالَ: يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ: إِنَّ الزَّرْعَ قَدْ تُدْرِكُهُ الْعَاهَةُ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ. " (8)
رسالة إلى أولياء الأمور:

قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [التحریم: 6]

عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ÷ قَالَ: عَلِّمُوهُمْ، وَأَدِّبُوهُمْ.
وَعَنْ قَتَادَةَ قَالَ: مُرُوهُمْ بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَانْهَوهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ. (1)

(1) التهجد وقيام الليل لابن أبي الدنيا (ص: 194)

(2) التواضع والخمول لابن أبي الدنيا (ص: 286)

(3) الزهد الكبير للبيهقي (ص: 65)

(4) الزهد الكبير للبيهقي (ص: 199)

(5) الرسالة القشيرية (1/ 217)

(6) إحياء علوم الدين (1/ 149)

(7) التذكرة في الوعظ (ص: 43)

(8) الزهد الكبير للبيهقي (ص: 201)

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ^١: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: "أَلَا كَلِمَةٌ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْإِمَامُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى أَهْلِ بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَلَدِهِ، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَعَبْدُ الرَّجُلِ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ"^(٢)

وعن مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ الْمُرِّيِّ ÷ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ"^(٣)



(1) تفسير الطبري (103 / 23)

(2) رواه البخاري (7138) ومسلم (1829)

(3) رواه مسلم (142)

4- الإعلام في الإسلام

عناصر الخطبة:

مكانة الإعلام في الإسلام

أهدافه

الإعلام

ضوابطه

خطورة فساد

التفصيل

- مكانة الإعلام في الإسلام:

إن الدين الإسلامي دين دعوة، والدعوة عمل إعلامي، بكل ما تحمل هذه العبارة من معنى؛ ذلك أن الدعوة ما هي إلا عمل إعلامي، يخاطب العقل ويستند إلى المنطق والبرهان، ويعمل على الكشف عن الحقيقة. وإذا استعرضنا التعريف العلمي للإعلام؛ نجد أنه يكاد يكون متطابقاً مع مفهوم الدعوة بمعناها الأصلي: فالإعلام هو تزويد الناس بالأخبار الصحيحة، والمعلومات السليمة، والحقائق الثابتة؛ بهدف تكوين رأي عام صائب في واقعة من الوقائع، أو حادثة من الحوادث، أو مشكلة من المشكلات.⁽¹⁾

وتتضح لنا مكانة الإعلام في الدين الإسلامي من خلال:

أولاً: معرفة مهمة الرسول x:

قال تعالى {يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} [المائدة: 67] والبلاغ هنا: هو الإخبار أو الإعلام برسالة الحق سبحانه.

بل وحصر الله عز وجل مهمة الرسول x في البلاغ في أكثر من موضع

قال تعالى {فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ} [المائدة: 92] وقال سبحانه: {مَا عَلَى الرُّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ} [المائدة: 99] وقال جل وعلا {فَاتَّبِعْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ} [الرعد: 40] فيتضح لنا من هذه الآيات، أن مهمة الرسول x هنا، قاصرة على إعلام الناس بالرسالة التي كلفه بها ربه، ثم هو -بعد ذلك- غير مكلف بشيء أكثر من هذا، وغير مسئول عن هدايتهم، قال تعالى {لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} [البقرة: 272]

** فلقد بقيت الدعوة سرّاً ثلاث سنوات، إلى أن أمر الله تعالى نبيه x بإظهار دينه، قال تعالى: {فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ} [الحجر: 94] ثم أتبع هذا الإنذار العام بإنذار خاص لقومه وعشيرته x، قال تعالى: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ - وَاحْضِرْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [الشعراء: 213-214]

(1) أصول الدعوة وطرقها (ص: 265)

[214 - 215] عندئذٍ انطلقت صيحته الحق، فعن ابن عباس^٨ قال: لَمَّا نَزَلَتْ: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} [الشعراء: 214]، صَعَدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الصَّفَا، فَجَعَلَ يَنْادِي: "يَا بَنِي فِهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ" - لِيُطْلُونَ قُرَيْشٍ - حَتَّى اجْتَمَعُوا فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ، فَقَالَ: "أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغَيِّرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي؟" قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا، قَالَ: "فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ" فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبَّ لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ، أَلْهَذَا جَمَعْتُمَا؟ فَتَزَلَّتْ: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ} [المسد: 2].⁽¹⁾

وفي رواية أخرى: عن ابن عباس^٨، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ}... خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى صَعَدَ الصَّفَا فَهَتَفَ: "يَا صَبَاةُ" فَقَالُوا: مَنْ هَذَا؟، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، فَقَالَ: "أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ مِنْ سَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي؟" قَالُوا: مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا، قَالَ: "فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ"⁽²⁾

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: لَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ}، دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَاجْتَمَعُوا فَعَمَّ وَخَصَّ، فَقَالَ: "يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ، أَتَقْدُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ، أَتَقْدُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ، أَتَقْدُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، أَتَقْدُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي هَاشِمٍ، أَتَقْدُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَتَقْدُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا فَاطِمَةُ، أَتَقْدِي نَفْسِكَ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي لَا أُمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا..."⁽³⁾

وبعد تأمل هذه الروايات وغيرها، عرفنا وظيفة النبي ﷺ الحقيقية، ألا وهي الدعوة إلى الله عز وجل، والدعوة صورة من صور الإعلام النافع، ثم يتبين لنا من خلال النظر في الروايات، مميزات الإعلامي الناجح المؤثر، وذلك من خلال ترسيخ عدة مبادئ:

- مبدأ البشارة والندارة: وهو مبدأ أصيل من أهم مبادئ الإعلام الإسلامي؛ فالإعلام الإسلامي يبشر الناس، ويفتح أمامهم آفاق الأمل، ولا يثبط همهم، وهو أيضا ينذرهم من سوء المصير لمن لم يعتبر بالآيات والسنن، وأتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني.

- فن التوقيت: لقد استغل الرسول ﷺ ظروف الزمان المواتية، ودرس اللحظة المناسبة لتحقيق أكبر قدر ممكن من الإقناع برسالات ربه، فاختار الوقت عليه عامل كبير في قبول الدعوة أو ردها، فلننتبه لذلك.

(1) رواه البخاري (4770)

(2) رواه مسلم (208)

(3) رواه مسلم (204)

- اختيار الوسائل المناسبة: فقد وُفق الرسول ﷺ في أعلى وسيلة تختصر مساحات المكان، وتخطب أكبر عدد من الناس في أسرع وقت ممكن، فصعد جبل الصفا، ولعل في هذا دلالة أهمية العناية بالوسيلة، والتألق في فنون الاتصال الإعلامي لإقناع الناس بالحق.

- المدخل الاتصالي المناسب: لقد كانت كلمة: "يا صباحاه" التي استهل بها الرسول ﷺ خطبة الصفا غاية البدايات الجيدة، والاستهلاك الحسن، والمدخل المثير للانتباه والاهتمام، والحرك للوعي، والملفت للنظر في مجتمع ديدنه الحروب التي كانت تنشب بين قبائله لأتفه الأسباب؛ لذا كان حسن الابتداء هذا مفتاحاً لعقول القوم.

- إشراك الجمهور في العملية الاتصالية والحوار المفتوح: وهذا الأسلوب الحواري في الإعلام له أثره الفعال في تحقيق الإقناع والاقتناع

- القدرة على بث الثقة في الجمهور: من أهم عوامل الإقناع في الاتصال بالناس ودعوتهم، ثقة القائم بالدعوة بما عنده، وبقيمه، وأهدافه، وغاياته السامية، وثقة الناس في صدقه، وأمانته، وعدله، وهذه الدلالة تؤكد على أهم مؤهلات القائم بالاتصال.

- التكرار: هذه الدلالة تؤكد على أسلوب من أساليب الإعلام وهو التكرار فما تكرر تقرر. . . . وما يؤكد هذا الأسلوب الفعال أن خطبة الصفا جاءت بأكثر من رواية، وهذا يعني أنها كررت في أوقات متعاقبة لاعتبارات ترتبط بالظرف الاتصالي جملة، فالتكرار المتنوع على هذه الصورة هو جوهر الفاعلية المطلوبة لكل رسالة إعلامية.⁽¹⁾

ثانياً- جعلت الخيرية في هذه الأمة لحملها أعباء الرسالة وتبليغها للناس:

قال تعالى {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} [آل عمران: 110]

ونحن نعلم أن نصرة هذا الدين لا تنف على فرد بعينه ولا جهة بخصوصها بل المؤمنون جميعهم مطالبون بنصرة هذا الدين، فالجميع مطالب بالتعاون والتكامل لنشر هذا الدين بين العالمين والدفاع عنه، وكل منا على ثغر فليحذر أن يؤتى الإسلام من قبله. ومن الثغور المهمة للإسلام وبلاد الإسلام، ثغر الإعلام الذي ازدادت أهميته في هذا العصر؛ لتطور وسائل الاتصال والإعلام وتقدمها.⁽²⁾

ثالثاً - الإعلام الإسلامي ضرورة عصرية:

إن الواقع الذي تعيشه معظم المجتمعات الإسلامية في صراعها مع التيارات الوافدة والأفكار المادية الهدامة، والتي تحملها أجهزة إعلام لها قدرة التأثير والتجديد والإقناع، لا شك أنه لا يتفق تماماً مع ما يجب أن تكون عليه

(1) الجوانب الإعلامية في خطب الرسول صلى الله عليه وسلم (ص: 18)

(2) مجلة البحوث الإسلامية (68/ 12)

هذه الأمة المسلمة من مكانة وريادة، والتي أشار إليها كتاب الله - عز وجل - {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} [البقرة: 143]. وليس هذا أمر خيار أن تكون كذلك أو لا تكون، بل هو فرض على أمة الإسلام أن تتولى الدعوة والإبلاغ بأحكام الله الداعية للفضيلة والصلاح، بل ومحاربة المنكرات وكل ما يفسد عقائد الناس أو ينحرف بسلوكهم. يقول الحق سبحانه: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [آل عمران: 104].

إن هذه المواجهة أصبحت ضرورة لا خياراً، فالإسلام يرفض مواقف السلبية بين الإنسان ومجتمعه، كما يرفض الضغط والإجبار لصالح مبادئ وأفكار واتجاهات تتعارض مع هدي الله، وذلك بعد أن حرّر الإسلام الإنسان من قيود القهر، وكلفه أعباء المسؤولية عن إرادة واختيار، ومن هنا تبرز ضرورة الإعلام الإسلامي الذي يحمل هدي الله، ليس لمجرد المواجهة وردّ الفعل فقط؛ بل لإعزاز كلمة الله من خلال أجهزة ووسائل يقوم عليها متخصصون مدربون مؤمنون برسالة الإسلام: {فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ} [التوبة: 122].⁽¹⁾

ضوابط الإعلام في الإسلام:

فإعلامنا الإسلامي يجب أن يكون متميزاً، ولا يصح أبداً أن يكون إعلاماً نطيطاً تنبع فيه الأمم الأخرى في طريقة تعاطيهم مع الأخبار؛ لأننا أمة أراد الله لها أن تكون أمة قيادة وشهادة على العالمين فنحن أمة متبوعة لا تابعة قائدة لا منقادة يقول الله عز وجل: {مَلَأْنَا آيَاتِكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ} فمن أهم ضوابط الإعلام في الإسلام: أولاً: استشعار عظيم المسؤولية وثقل الأمانة:

ولقد فهم الصحابة هذه الحقيقة، وعلموا قدر المسؤولية، فانطلقوا دعاة إلى الله عز وجل في أقطار الأرض، ولسان حالهم ومقالهم كما قال ربي بن عامر -: نحن قوم ابتعثنا الله لنُخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.⁽²⁾

فهي مسؤولية رجل الإعلام الإسلامي تجاه الإنسانية، بهدف إنقاذ أكبر عدد ممكن من البشرية من النار، رحمة بهم ووفاء بالأمانة وأداء لواجب البلاغ المبين، وهذه المسؤولية كان يضطلع بها الرسول ﷺ انطلاقاً من قول الله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَفَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [سبأ: 28] وقال الله تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} [الأنبياء: 107] وانطلاقاً من هذه المسؤولية فإن وسائل الإعلام في المجتمع المسلم ينبغي أن تحسن الخطاب الإعلامي لأمة الدعوة فتصمم برامج على أسس علمية دقيقة تنفع الناس وتكفل الاستجابة لها.⁽³⁾

(1) مجلة البيان (25 / 233)

(2) البداية والنهاية (9 / 622)

(3) الجوانب الإعلامية في خطب الرسول صلى الله عليه وسلم (ص: 24)

ثانيا: تحري الصدق:

فإنه واجب على كل مسلم، ويزيد الأمر في حق الإعلامي؛ لأن كلامه يصل إلى شريحة كبيرة ويتأثر به أناس كثيرون والله تعالى يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} [التوبة: 119]

والنبي ﷺ يقول: "عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يَكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدْقًا..." (1)

ولتحذروا إخواني الإعلاميون من الكذب أشد الحذر تحت أي ذريعة سواء بذريعة الفوز بالسبق الإعلامي كما يقال أو غيره من الذرائع فالمؤمن لا يكذب، فعن عبد الله بن مسعود، قال: الْمُؤْمِنُ يُطَوِّى عَلَى الْخِلَالِ كُلِّهَا غَيْرَ الْخِيَانَةِ وَالْكَذِبِ. (2)

ويقول النبي ﷺ: "وَالْكَذِبُ وَالْكُذْبُ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يَكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذِبًا" ولا يفيك أخي الإعلامي المسلم أن تنقل كلام الغير بلا تحر لصحة الخبر. ويقول النبي ﷺ: "بُئْسَ مَطْيَةُ الْقَوْمِ زَعَمُوا". (3)

ثالثا: التثبت من الأخبار:

فتناقل الأخبار آفة المجتمعات، فقد يكون بعضها إشاعة، أو كذبا، وقد يكون هناك كثير من المبالغة في الخبر وتضخيمه، وغالبا ما يكون نقل الخبر بحاجة ماسة إلى الدقة في النقل، وضبط اللفظ، وفهم المراد، وتأويل المسموع، لذا كان لا بد من الكتابة أو التدوين أو التسجيل ليكون الخبر صحيحا أو مطابقا للواقع، وقد يكون الخبر كله ملفقا أو موضوعا لدوافع سياسية أو مناصرة اتجاه معين أو لبذر بذور الفرقة، وتأجيج نار الخلاف بين الناس، الأقارب أو الأبعد، لذا أوجب القرآن التثبت من الأخبار، تحقيقا للمصلحة العامة أو الخاصة، ومنعا من إيقاع الفتنة، وزرع الفرقة، فليس كل ما يقال حق ولا كل ما ينشر صدق، والله تعالى يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ فَاكْسِبْ بَلَيًّا فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِثَالِهِ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ}. (4)

هذا من الآداب التي على أولي الألباب، التأدب بها واستعمالها، وهو أنه إذا أخبرهم فاسق بخبر أن يتثبتوا في خبره، ولا يأخذوه مجردا، فإن في ذلك خطرا كبيرا، ووقوعا في الإثم، فإن خبره إذا جعل بمنزلة خبر الصادق العدل، حكم بموجب ذلك ومقتضاه، فحصل من تلف النفوس والأموال، بغير حق، بسبب ذلك الخبر ما يكون سببا للندامة، بل الواجب عند خبر الفاسق، التثبت والتبيين، فإن دلت الدلائل والقرائن على صدقه، عمل به وصدق، وإن دلت على كذبه، كذب، ولم يعمل به. (5)

(1) رواه مسلم (2607) من حديث ابن مسعود

(2) مصنف ابن أبي شيبة (18/11)

(3) رواه أبو داود (4972) وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (522/2)

(4) التفسير الوسيط للزحيلي (3/2471)

(5) تفسير السعدي (ص: 800)

رابعاً: الثاني في التعاطي مع الأمور العظام مما تتعلق به مصلحة عظمى للأمة فليس كل ما يعلم في هذا الباب يقال ولو كان حقاً وصدقاً، يقول الله تعالى: {وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ} فالطريق الشرعي عند ورود الأمور العامة سواء كان الأمر يتعلق بأمن أو خوف أن يرد إلى أهل الحل والعقد من الأمراء والعلماء، فما رأوا المصلحة في نشره وإذاعته نشر، وما رأوا المصلحة في عدم نشره لا ينشر حفاظاً على دين الناس ودينامهم، والنبي ﷺ يقول: " مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكَلِّمْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ " والذي يقدر الخير من عدمه في الأمور العظام هم أولو الأمر فالواجب الرجوع إليهم فيها.

خامساً: نشر الإسلام بصورته الصحيحة:

بأن يكون الإعلام في بلاد المسلمين بكل أنواعه المسموعة والمرئية والمقروءة إعلاماً هادفاً له رسالة يسعى لتحقيقها من خلال ما يبثه أو يكتبه، وتلك الرسالة هي: "تحقيق العبودية لله في أرضه" وهي الغاية التي من أجلها خلق الإنسان ويعمل لها المسلمون بكل طبقاتهم.

فالإعلام في الإسلام لا تقتصر مهمته على نقل الخبر من هنا وهناك ولا تقف مسؤوليته عند تحليل الأخبار، بل رسالته تذهب إلى ما هو أبعد من هذا بكثير، فهو يحمل أعظم رسالة إعلامية في هذه الدنيا، إنها رسالة الإسلام التي يجب على كل مسلم السعي في إبلاغها كل حسب قدرته واستطاعته، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: "يَلْعَنُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً..."⁽¹⁾

سادساً: الإعلام الإسلامي يقوم على نشر الفضيلة وإشاعتها ودحض الرذيلة ومنعها:

فواجب عليه أن يكون خالياً من المنكرات العقدية والعملية والأخلاقية، ويكون قدوة لغيره في نشر الخيرات؛ لأن الله تعالى يقول: {لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} ويقول الله تعالى {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}

سابعاً: تقوية الإيمان عند الفتن والدعوة للجماعة والألفة حال الفتن والحزن واشتداد الأمور واضطرابها يكون للإعلام وقع كبير ودور عظيم في تسيير الأحداث، وهذا أمر معلوم في عصرنا هذا الذي بات الإعلام في حال المدلهمات وعظائم الأمور يؤثر تأثيراً بالغاً في نفوس الناس بإثارتها أو تثبيطها بتخويفها أو تأمينها؛ لذا كان الواجب الحذر في التعاطي مع الأحداث الجسيمة فلا تنقل ما يثبط المسلمين ويفت في عضدهم ولا ما يثيرهم ويرجف بهم، فإن هذا محرم وقد كان على عهد الرسول ﷺ أناس يستغلون الأحداث بمثل هذه الأمور ففضح الله أمرهم وتوعدهم، ويقول الله تعالى {فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا

(1) أخرجه البخاري (3461)

يَقْتَهُونَ (81) فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ { [التوبة: 81، 82] وقال أيضا { لَنْ لَمْ يَنْتَهُ الْمُتَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا (60) مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثَقِفُوا أُحْذُوا وَقَتْلُوا تَقْتِيلًا { [الأحزاب: 60، 61] إذن فما هو موقف الإعلام الإسلامي من الأحداث الجسام التي تؤثر في الأمة؛ إن موقفه موقف المؤمن الثابت، فالواجب أن يوجه الإعلام لتقوية الإيمان في نفوس المؤمنين وتعزيز تعلقهم بربهم وتوكلهم عليه.

يقول الله سبحانه وتعالى: { الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (173) فَاقْبَلُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسْسَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانِ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (174) إِنَّمَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ يَخْوَفُ أَوْلِيَائِهِ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ { [آل عمران: 173 - 175]

ثامناً - مخاطبة الناس على قدر عقولهم، وعدم الاستخفاف بعقول الناس واحترامهم بلا مَلَق ولا إسفاف في النقاش، وإنما الجدل بالتي هي أحسن واحترام الرأي الآخر وعدم الاستهانة به، وذلك سبيلاً للإقناع والاعتناع، قال علي بن أبي طالب ÷: "حَدِّثُوا النَّاسَ، بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يَكْذَبَ، اللَّهُ وَرَسُولُهُ"⁽¹⁾

تاسعاً - عدم استخدام وسائل الإعلام أيًا كانت كمنبر للردود الشخصية أو الهجمات اللاذعة غير المبنية على أساس علمي واضح.

إذ يجب أن تسمو الوسيلة الإعلامية عن ذلك وتترفع، مستمرة في أداء رسالتها الأصلية وفق منهجها الواضح؛ فاللشريعة أساسياتها المتينة والثابتة التي منها ينطلق العمل الإعلامي والدعوي.⁽²⁾

عاشراً - عدم الاستهانة ببعض المخالفات الشرعية أمام أكذوبة (ضرورات العصر)

فالإعلام الإسلامي إعلام عقائدي يتمثل بقواعد ومبادئ راسخة بنمو بنائها ويزدهر بازدهارها في أنفس المسلمين، ولكن بعض هذه المبادئ أو القواعد قد يتم نقضها بحجة " ضرورات العصر " أو لأنها أمور صغيرة هنالك ما هو أهم منها بكثير، أو لأن البعض يعتقد أن نمو الإسلام وتقدمه لا يتوقف عليها. وأمثلة بسيطة على هذه الأمور: (التصوير بلا ضرورة، التدخين، حلق اللحية، التبرج، مصافحة النساء، الجلوس أمام المتبرجات. . .) علماً بأن هذه الأمور جميعاً

تخلُّ بسلوك المسلم إخلالاً كبيراً، شعر بذلك أم لم يشعر، اعترف بأثرها السلبي أم لم يعترف. وإذا كان لمثل هذه الأمور أثرها السلبي في نمو شخصية أي مسلم، فكيف يكون أثرها بالنسبة للقائم على توجيه الرسالة الإعلامية الإسلامية. . ؟!⁽³⁾

(1) البخاري (127)

(2) مجلة البيان (9/ 39)

(3) مجلة البيان (9/ 39)

أهداف الإعلام الإسلامي

1 - تعبيد الناس لربهم سبحانه، وتخليصهم من عبودية الأهواء، والأشخاص، والمعبودات الباطلة، والآلهة الزائفة.

فمدلول الإعلام الإسلامي: هو تزويد الإنسان بصفة عامة بحقائق الدين الإسلامي الحنيف المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وعرض مشكلات المجتمع الثقافية والاجتماعية والتعليمية من وجهة نظر إسلامية، من خلال رجل الإعلام الذي يتمتع بمعرفة واسعة ومتعمقة في موضوع الرسالة التي يتناولها وصولاً إلى تكوين رأى عام صائب يعي ويدرك حقائق الدين الإسلامي اعتقاداً وعبادة ومعاملة، وإظهار ملامح الصورة الحقيقية لساحة الدين وعمقه المتفق مع فطرة البشر مما كانت الجنسية أو الطبقة {فُطِرَتَ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} (1).

2 - ترسيخ العقيدة الصحيحة، وتوصيلها للمتلقين تقية صافية، ورد تحريف المبطلين وشبهاتهم بالبرهان الناصع والدليل الساطع.

3 - توثيق الروابط بين النسيج الاجتماعي للمسلمين بإعلاء معاني الأخوة الإيمانية، ونشر مبادئ وحدة الأمة، والعدالة، والمساواة.

4 - الإصلاح والتوجيه في جانب المعاملات، والتأكيد على أن الإسلام عقيدة وشريعة، عبادة ومعاملة، لا يُفَصَّلُ بينها في وجوب الالتزام بأحكام الإسلام.

5 - المساهمة في تنمية المجتمعات والإصلاح الاقتصادي بالدلالة على القواعد التي جاء بها الإسلام في مجالات العمل والإنتاج والإنفاق والتخطيط الصحيح للانتفاع بثروات الأمة ومواردها المختلفة.

6- مواجهة حالة الضياع التي يعيشها المجتمع المعاصر عامة، ومجتمع المسلمين خاصة، بما يعيد التوازن السليم بين فطرة الإنسان ومستحدثات العصر الفكرية منها والمادية.

7 - تحقيق مواجهة إيجابية فاعلة أمام حملات غير المسلمين ممن يعادون الإسلام إما جملًا به أو حقًا عليه، وذلك من خلال أجهزة ووسائل متطورة تواكب مطلوبات العصر؛ بما يحقق إعلامًا قادرًا ومتميزًا يقوم على المنهج العلمي الصحيح. خطورة فساد الإعلام:

فإننا نرى الهوة السحيقة التي تردى إليها إعلامنا ولا يزال يتردى، فبدلاً من أن يكون منارة إشعاع، ومنبر دعوة إلى الخير، صار صوت إفساد وسوط عذاب. . . وخفت صوت الدعاة وسط ضجيج الإعلام الفاسد. (2)

(1) الإعلام الإسلامي وتطبيقاته (ص140)

(2) دور الإعلام في التضامن الإسلامي (ص: 273)

قال الشيخ ابن باز رحمه الله: وسائل الإعلام خطيرة جدًا، وهي أسلحة ذات حدين إن وُجِحت إلى الخير وعُمرت بالخير، وعُمل فيها الخير شغقت العالم، وإن كان الأمر الآخر ضررت العالم، وهي الآن فيها شر كثير وخير قليل، وخطرها بلا شك عظيم، والواجب على ولاية الأمور في كل مكان، وعلى المصلحين من العلماء والأخبار أن يعنوا بها، وأن يبذلوا المستطاع في إصلاحها من جهات كثيرة.⁽¹⁾

** فأعظم الوسائل لاستعباد الناس وقهرهم ونهب ثرواتهم، السيطرة على وسائل الإعلام، فمن خلال الإعلام وصل فرعون إلى ما وصل من الطغيان، قال تعالى مخبرًا عن فرعون كيف لعب بعقول اتباعه {فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ} [الزخرف: 54].⁽²⁾

* وانظر كيف يوجهون الرأي العام على ما يريدون ويخططون له، قال تعالى {وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ} (39) لَعَلَّنَا نَبْغِ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ (40) {الشعراء: 39-40} كأنهم يقولون، لا خيار لنا إلا في اتباع السحرة لا غيرهم.

* وانظر كيف يقبلون الحقائق ليلعبوا بعقول العوام المساكين فيظهروا المصلح في صورة مفسد ومخرب، قال تعالى {وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفُسَادَ} [غافر: 26] وهذا من أعجب ما يكون، أن يكون شر الحلق ينصح الناس عن اتباع خير الحلق هذا من التمويه والترويح الذي لا يدخل إلا عقل من قال الله فيهم: {فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ}.⁽³⁾

* وانظر إلى طريقة الحشد، وإظهار المخالف لهم بأنهم قلة لا قيمة لهم {فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ} (53) إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (54) وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ (55) وَإِنَّا لَجَمِيعٌ خَائِذُونَ (56) {الشعراء: 53-56} وخلاصة الكلام في قاعدة مهمة وهي: إعلام بلا ضمير، بئر جيلاً بلا وعي، ومن ثم فلا نصر ولاكرامة.

* على العكس من ذلك، تأمل معي مدى تأثير الإعلام الواعي في تحريك مشاعر المسلمين صغيراً وكبيراً نحو عقيدتهم والدفاع عنها ومعاداة كل من سولت له نفسه المساس بثوابتها أو رموزها، تدبر هذا المثال جيداً.

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ، قَالَ: بَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ فِي الصَّيْفِ يَوْمَ بَدْرٍ، فَتَنَظَّرْتُ عَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي، فَإِذَا أَنَا بِغُلَامَيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ - حَدِيثُهُ أَسْتَأْنِهُمَا، تَمَتَّيْتُ أَنْ أَكُونَ بَيْنَ أَضْلَعٍ مِنْهُمَا - فَغَمَزَنِي أَحَدُهُمَا فَقَالَ: يَا عَمَّ هَلْ تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، مَا حَاجَتُكَ إِلَيْهِ يَا ابْنَ أَخِي؟ قَالَ: أَخْبَرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَأَنْ رَأَيْتُهُ لَا يُغَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ حَتَّى يَمُوتَ الْأَعْجَلُ مِنَّا، فَتَعَجَّبْتُ لِذَلِكَ، فَغَمَزَنِي

(1) العلاقة المثلى بين الدعاة ووسائل الاتصال الحديثة (ص: 51)

(2) في ظلال القرآن (5/ 3194)

(3) تفسير السعدي (ص: 736)

الْآخَرُ، فَقَالَ لِي مِثْلَهَا، فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ نَظَرْتُ إِلَى أَبِي جَحْمَلٍ يَجُولُ فِي النَّاسِ، قُلْتُ: أَلَا إِنَّ هَذَا صَاحِبُكُمْ
الَّذِي سَأَلْتُمَانِي، فَأَبْتَدَرَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا، فَضَرَبَاهُ حَتَّى قَتَلَاهُ، ثُمَّ انْصَرَفَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَخْبَرَاهُ فَقَالَ: "أَيُّكُمَا
قَتَلَهُ؟"، قَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا: أَنَا قَتَلْتُهُ، فَقَالَ: "هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكُمَا؟"، قَالَ: لَا، فَنَظَرَ فِي السَّيْفَيْنِ،
فَقَالَ: "كِلَاكُمَا قَتَلْتُهُ، سَلَبْتُهُ لِمُعَاذِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْجُمُوحِ"⁽¹⁾، فَمَا الَّذِي مَلَأَ قُلُوبَ مِثْلِ هَؤُلَاءِ الْغُلَامِ الصَّغَارِ
بَغْضًا وَكَرْهًا لِمَنْ سَبَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، مَعَ أَنَّ الَّذِي سَبَّ كَانَ فِي مَكَّةَ، وَهَؤُلَاءِ يَعِيشُونَ فِي الْمَدِينَةِ، إِلَّا لِأَنَّهَا
صَارَتْ قَضِيَّةَ إِعْلَامِيَّةٍ تَتَدَاوَلُ بَيْنَ النَّاسِ فِي الْبُيُوتِ وَفِي الْأَسْوَاقِ وَفِي النُّوَادِي، حَتَّى تَبْنَاهَا الْأَطْفَالُ
الصَّغَارَ، وَكُلُّ ذَلِكَ رَاجِعٌ إِلَى إِعْلَامٍ يَحْمِلُ هَمَّ أُمَّةٍ، وَيَبِثُّ قَضَايَاهَا فِي الْمَجْتَمَعِ.



(1) رواه البخاري (3141) ومسلم (1752)

فوائد ودرر

الصحابة المفتون

الصحابة الذين تدور عليهم الفتاوى والأحكام سبعة وعشرون صاحب

قال ابن حزم في الأحكام في أصول الأحكام (5 / 92، 93):

المكثرون من الصحابة سفيا روي عنهم من الفتيا:

عائشة أم المؤمنين - عمر بن الخطاب - ابنه عبد الله - علي بن أبي طالب - عبد الله بن العباس - عبد

الله بن مسعود - زيد بن ثابت

فهم سبعة يمكن أن يجمع من فتيا كل واحد منهم سفر صخم وقد جمع أبو بكر محمد بن موسى بن يعقوب

بن أمير المؤمنين

المأمون فتيا عبد الله بن العباس في عشرين كتابا وأبو بكر المذكور أحد أئمة الإسلام في العلم

والحديث.

والمستوطنون منهم فيما روي عنهم من الفتيا ~: أم سلمة أم المؤمنين - أنس بن مالك - أبو سعيد الخدري - أبو

هريرة - عثمان بن عفان - عبد الله بن عمرو بن العاص - عبد الله بن الزبير - أبو موسى الأشعري - سعد بن أبي وقاص

- سلمان الفارسي - جابر بن عبد الله - معاذ بن جبل - وأبو بكر الصديق.

فهم ثلاثة عشر فقط يمكن أن يجمع من فتيا كل امرئ منهم جزء صغير جدًا

ويضاف أيضا إليهم: طلحة - الزبير - عبد الرحمن بن عوف - عمران بن الحصين - أبو بكر - عبادة بن

الصامت - معاوية بن أبي سفيان

والباقون منهم ~مقلون في الفتيا لا يروي الواحد منهم إلا المسألة والمسائلتان والزيادة اليسيرة على ذلك

فقط يمكن أن يجمع من فتيا جميعهم جزء صغير فقط بعد التقصي والبحث.

أجرؤ الناس على الفتيا:

ذكر الذهبي في مواضع متعددة من كتابه الممتع سير أعلام النبلاء

* قال سحنون: أجزأ الناس على الفتيا أقلهم علمًا.

* قَالَ ابْنُ شُبْرَمَةَ: دَخَلْتُ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ بِوَاسِطٍ، فَلَمْ أَرِ أَجْبَنَ مِنْ فَتَوَى مِنْهُ، وَلَا أَجْزَأَ عَلَى

رُؤْيَا مِنْهُ.

* وقال عبد الرحمن ابن أبي ليلى: أدركت عشرين ومائة من أصحاب رسول الله -x- من الأنصار، إذا

سُئِلَ أَحَدُهُمْ عَنْ شَيْءٍ، وَدَّ أَنْ أَحَاهُ كَفَاهُ.

* قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ: كَانَ سُفْيَانُ إِذَا سُئِلَ عَنْ شَيْءٍ، يَقُولُ: لَا أَحْسِنُ. فَنَقُولُ: مَنْ نَسَأَلُ؟

فَيَقُولُ: سَلِ الْعُلَمَاءَ، وَسَلِ اللَّهَ التَّوْفِيقَ.

* وقال الشافعي: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا فِيهِ مِنْ آلَةِ الْعِلْمِ مَا فِي سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، وَمَا رَأَيْتُ أَكْثَرَ عَنِ الْفُتْيَا مِنْهُ، قَالَ: وَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَحْسَنَ تَفْسِيرًا لِلْحَدِيثِ مِنْهُ.

واعلم أن على الحق نورًا

عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، أَنَّ أَبَا إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيَّ عَائِدَ اللَّهِ، أَخْبَرَهُ أَنَّ يَزِيدَ بْنَ عُمَيْرَةَ - وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ - أَخْبَرَهُ قَالَ: كَانَ لَا يَجْلِسُ مَجْلِسًا لِلذِّكْرِ حِينَ يَجْلِسُ إِلَّا قَالَ: "اللَّهُ حَكَمَ فَنَسَطَ هَلَكُ الْمُرْتَابُونَ"، فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ يَوْمًا: "إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ فِتْنًا يَكْثُرُ فِيهَا الْمَالُ، وَيُفْتَحُ فِيهَا الْقُرْآنُ حَتَّى يَأْخُذَهُ الْمُؤْمِنُ وَالْمُنَافِقُ، وَالرَّجُلُ، وَالْمَرْأَةُ، وَالصَّغِيرُ، وَالْكَبِيرُ، وَالْعَبْدُ، وَالْحُرُّ، فَيُوشِكُ قَائِلٌ أَنْ يَقُولَ: مَا لِلنَّاسِ لَا يَتَّبِعُونِي وَقَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ؟ مَا هُمْ بِمُتَّبِعِيَّ حَتَّى أَبْتَدِعَ لَهُمْ غَيْرَهُ، فَإِنَّا كُمْ وَمَا ابْتَدِعَ ضَلَالَةً، وَأَحْدَرَكُمْ زَيْعَةَ الْحَكِيمِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَقُولُ كَلِمَةَ الضَّلَالَةِ عَلَى لِسَانِ الْحَكِيمِ، وَقَدْ يَقُولُ الْمُتَّافِقُ كَلِمَةَ الْحَقِّ"، قَالَ: قُلْتُ لِمُعَاذٍ: مَا يُدْرِينِي رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّ الْحَكِيمَ قَدْ يَقُولُ كَلِمَةَ الضَّلَالَةِ وَأَنَّ الْمُتَّافِقَ قَدْ يَقُولُ كَلِمَةَ الْحَقِّ؟ قَالَ: "بَلَى، اجْتَنِبْ مِنْ كَلَامِ الْحَكِيمِ الْمُشْتَبَهَاتِ الَّتِي يَقَالُ لَهَا مَا هَذِهِ، وَلَا يُثَبِّتُكَ ذَلِكَ عَنْهُ، فَإِنَّهُ لَعَلَّهُ أَنْ يَرِاجِعَ، وَتَلَقَّ الْحَقَّ إِذَا سَمِعْتَهُ فَإِنَّ عَلَى الْحَقِّ نَوْرًا"⁽¹⁾.

بدعة البيعة الحزبية:

قال مطرّف بن عبد الله الشخير (ت86هـ): كنا نأتي زيد بن صوحان فكان يقول: يا عباد الله، أكرموا وأجملوا، فإنما وسيلة العباد إلى الله بمخلصتين: الخوف والطمع. فأثبته ذات يوم وقد كتبوا كتابا، فنسقوا كلاما من هذا النحو: إن الله ربنا، ومحمد نبينا، والقرآن إمامنا، ومن كان معنا كنا وكنا، ومن خالفنا كانت يدنا عليه وكنا وكنا. قال: فجعل يعرض الكتاب عليهم رجلا رجلا، فيقولون: أقررت يا فلان؟ حتى انتهوا إلي فقالوا: أقررت يا غلام؟ قلت: لا، قال زيد بن صوحان: لا تعجلوا على الغلام، ما تقول يا غلام؟ قلت: إن الله قد أخذ علي عهدا في كتابه، فلن أحدث سوى العهد الذي أخذه علي. فرجع القوم من عند آخرهم ما أقر منهم أحد. وكانوا زهاء ثلاثين نفسا (السير 192/4).

هجر المبتدعة وترك مجالستهم:

* قال أبو قلابة: لا تجالسوا أهل الأهواء، أو قال: أصحاب الخصومات، فإنني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم، ويلبسوا عليكم بعض ما تعرفون (285/11).

(1) أخرجه عبد الرزاق (20750)، وأبو داود (4611)، والحاكم 4/460، وقال: صحيح على شرط الشيخين.

* ولقي الإمام الأوزاعي ثور بن يزيد الحمصي - وقد رمي بالقدر - فمد ثور يده إليه، فأبى الأوزاعي أن يمد إليه يده، وقال: يا ثور! لو كانت الدنيا لكنت المقاربة، ولكنه الدين⁽¹⁾
 * وكان العلامة أبو يوسف القزويني رأساً في الاعتزال، فصنف تفسيراً في ثلاثمائة مجلد ونيف، وقال: من قرأه علي وهبت له النسخة، فلم يقرأه أحد (617/18).
 المولعون بالكتابة:

* كان أبو إسحاق الجرجاني الحافظ يكتب في الليلة تسعين ورقة بخط دقيق.
 قال الذهبي في السير (54/13): هذا يمكنه أن يكتب صحيح مسلم في أسبوع.
 * ومكث الإمام محمد بن جرير الطبري أربعين سنة يكتب في كل يوم منها أربعين ورقة (السير 276/14).

حرص العلماء على الكتب ونسخها واقتنائها:
 * وترك محمد بن مكرم الرويعي الإفريقي (630هـ - 711هـ) بخط يده خمسمائة مجلد.
 قال الصفدي: رأيت كتاب الصحاح للجوهري في مجلدة واحدة بخطه في غاية الحسن. ولم يزل يكتب إلى أن أضر وعمي في آخر عمره، رحمه الله.

* وكان شافع بن علي الكناني العسقلاني (649هـ - 730هـ) جماعة للكتب حتى إنه خلف ثمانية عشر خزانة كتباً نفائس أدبية، وكان أعمى لكنه إذا لمس الكتاب وجسه قال: هذا الكتاب الفلاني، ملكته في الوقت الفلاني. وإذا أراد أي مجلد كان قام إلى الخزانة التي هو فيها وتناولها منها كأنه الآن وضعه.
 * وكان للقاضي الفاضل محبي الدين هوس مفرط في تحصيل الكتب، عنده نحو مائتي ألف كتاب (343/21).

أنفع الكتب لطالب العلم:
 قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام - وكان أحد المجتهدين -: ما رأيت في كتب الإسلام في العلم مثل "المحلى" لابن حزم، وكتاب "المغني" للشيخ موفق الدين.
 قال الذهبي في السير (193/18): لقد صدق الشيخ عز الدين. وثالثها: "السنن الكبير" للبيهقي، ورابعها: "التمهيد" لابن عبد البر. فمن حصل هذه الدواوين، وكان من أذكياء المفتين، وأدمن المطالعة فيها، فهو العالم حقاً.

والحمد لله رب العالمين

(1) قد نُفي ثور وأحرقت داره من أجل الكلام في القدر، ولكن قال الذهبي: والظاهر أنه رجع، فقد روى أبو زرعة عن منبه بن عثمان أن رجلاً قال لثور: يا قدرى! فقال: إن كنت كما قلت إني لرجل سوء، وإن كنت على خلاف ما قلت إنك لفي حل (345-344/6).

المحتويات

2	النأحة المستأجرة
5	1- الغيبة
12	2- التعاون
21	3- الشباب بين الواقع والمأمول
31	4- الإعلام في الإسلام
41	فوائد ودرر

للمشاركة أو الاستفسار

اتصل على ت مجمع التوحيد ببلبيس / 055-2847990

ولمتابعة الخطب ومحاضرات معهد إعداد الدعاة من خلال
موقع مسجد التوحيد - بلبيس

www.altawhcd.net

ويمكن التواصل من خلال موقع التواصل الاجتماعي فيس بوك-

مسجد التوحيد - بلبيس

www.facebook.com/MasjedAltawhcd

أو

معهد إعداد الدعاة - بلبيس

www.facebook.com/Alm3had

واللجنة تقبل مشاركتكم من خلال خطب مكتوبة مشروطة أن تتسم بالموضوعية والمنهجية مدعمة
بالأدلة النقلية من القرآن والسنة الصحيحة على أن يتم مراجعتها من قبل اللجنة وتعديلها على حسب المنهج
المرسوم ، والحق الأدبي - بذكر اسم صاحب الكتابة- مكفول لصاحب الخطبة .